أنيس منصور

هي .. وعشاقها

بقلم

٤ مسرحيات كوميدية

تأليف: فردريش دريمات



الهيئة العامة للكتاب

هى وعشاقها

وثلاث مسرحيات كوميدية

تأليف :

فريدريش ديرنمات

ترجمة وتقديم :

أنيس منصور

الهيئة العامة للكتاب



القاهرة ـ بيروت

* كل الرسومات الداخلية بريشة المؤلف



انيس منصور عند زيارته لديرنمات وزوجته في بيتهما بسويسرا



هي وعشاقها

أو : زواج السيد ميسبي

الشخصيات

أناستاسا

فلورستانه ميسبي

فريدريك رينيه سان ـ كلود

كونت بودوفون ايبلوهه ـ تسابرنزي

دييجو : وزير العدل

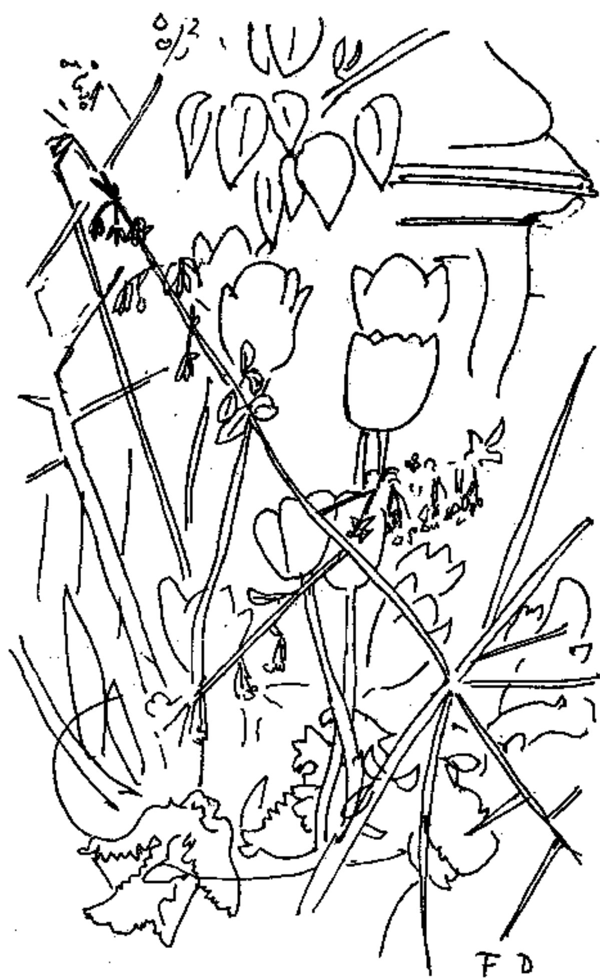
خادمـــه

ثلاثة رجال ـ ارتدوا بلاطي مطر وأيديهم اليمنى في جيوبهم

حارسان

البروفيسور ايبرهوبر

أطباء في مستشفى الامراض العقلية



Friedrich Dürrenmatt: Federzeichnung

القسم الأول

غرفة ذات أبهة برجوازية وفخامة لا يمكن وصفها اطلاقا .. ولكن ما دام التمثيل سوف يجري في هذه الغرفة وحدها ، وما دمنا في الحقيقة في استطاعتنا أن نقول : ان كل الحوادث التي ستقع تعبر عن قصة هذه الغرفة فمن الضروري أن نحاول وصف محتوياتها .

الغرفة خانقة لأقصى درجة .. في المؤخرة نافذتان .. وإلى اليمين نرى فروع شجرة تفاح ، ووراء هذه الشجرة ، تظهر معالم احدى مدن الشمال التي لها كنيسة ذات طراز قوطي ، إلى اليسار شجرة سرو ، وبقايا معبد قديم وخليج وميناء . وهذا يكفي جدا في وصف العالم خارج هذه الغرفة . وبين النافذتين ، ولكن في مستواهما ، ساعة قديمة ذات أسلوب قوطي أيضا .. بعد ذلك نتجه إلى الحائط الذي إلى اليمين .. به بابان .. الباب الذي في مؤخرة المسرح يفضي إلى شرفة لغرفة أخرى . ليست مهمة لأنني لن أحتاج اليها الا في القسم الثاني من هذه المسرحية .. والباب الثاني يؤدي إلى صالة وإلى المدخل الامامي ، وكذلك المطبخ هنا قريب من باب المدخل . ولا داعي لأن نشغل أنفسنا كثيرا بنظام ومحتويات البيت بعد ذلك .. ولكن يمكن أن يقال انه بيت قديم أدخلت عليه تعديلات كثيرة .

وبين باب اليمين يوجد برواز ، واقترح هذه المرة أن يكون من طراز لويس الخامس عشر .. في داخله صورة لفينوس بارزة طبعا .. أما في حائط اليسار فيوجد باب واحد .. وعلى جانبي الباب عدد من المرايا القديمة والباب يفضي إلى صالون صغير ، والصالون يفضي إلى غرفة نوم ، والغرفتان لن ندخلهما ، ولكن سوف يفعل ذلك كثيرون ..

وفي مقدمة المسرح إلى اليسار يتدلى برواز مرآة من طراز لويس السادس عشر ، طبعا خال من المرآة ، فاذا نظر أي انسان من داخله يستطيع أن يرى الجمهور .

وفي الوسط توجد ترابيزة للقهوة صغيرة ، وهذه الترابيزة تعتبر شخصية رئيسية في هذه المسرحية ، فعليها يتركز التمثيل ، وعلى المخرج أن يراعي ذلك بوضوح .. وعلى جانبيها مقعدان من طراز لويس الرابع عشر ومن الممكن اضافة بعض قطع الاثاث من طراز نابليون ــ مثل أريكة نضعها في مقدمة المسرح إلى اليسار .. وفي المؤخرة إلى اليسار يمكن اضافة ستارة أيضا .. وعلى المخرج أن يتغاضى عن وضع أي شيء روسي على المسرح ، الا اذا كان الموقف السياسي يعتبر ذلك شيئا مقبولا .. وعلى ترابيزة القهوة الصغيرة توجد فازة يابانية بها ورد في الفصل الاول من المسرحية .. واقترح نزع هذه الورود في الفصل الثاني .. والمنضدة الآن معدة لثلاثة أشخاص يشربون القهوة .. والفناجين من الصيني الالماني .. ثم بضعة أشياء أخرى ..

إلى اليمين ثلاثة رجال يرتدون بلاطي المطر وقد وضعوا أيديهم اليمنى في جيوبهم وعلى أذرعتهم شرائط حمراء ، وقد وقفوا بين ترابيزة القهوة والباب الذي على اليسار ، ضيوف سان كلود ..

ودون دخول في تفاصيل فان هذا الشخص يمكن ان يوصف بأنه ممتلىء مربع التكوين حديدي الوجه ، وقد ارتدى ملابس السهرة التي لا تناسبه بالمرة وارتدى جوارب حمراء .. يضاف إلى ذلك صوت أجراس الكاتدرائية ..

(أول رجل من الثلاثة الذين ارتدوا بلاطي المطر)

الرجل : أنت محكوم عليك بالاعدام يا سان كلود .. ضع يدك على رأسك ..

(سان كلود يستسلم)

اذهب وقف بين النافذتين ..

(سان كلود يستسلم)

أدر وجهك للحائط .. وهذه أبسط طريقة لتموت ..

(يدير وجهه للحائط .. يتلاشى صوت أجراس الكاتدرائية . طلقة نارية .. ويظل سانت كلود واقفا .. في مكانه .. اما الرجال الثلاثة الذين ارتدوا بلاطي المطر .. وقد وضعوا أيديهم اليمنى في جيوبهم فيتجهون إلى اليمين .. أما سانت كلود فيستدير في مواجهة الجمهور .. ويلقي هذه الخطبة كمخرج في مسرح من مسارح الدرجة الثانية) ...

سان كلود : سيداتي .. سادتي .. كما لاحظتم حضراتكم .. قد أصابتني رصاصة في نفس اللحظة التي يتلاشى فيها صوت أجراس — الكاتدرائية .. والرصاصة لا بد أنها أصابتني .. على قدر تصوري الآن .. في مكان ما بين كتفي .. وليس من السهل التأكد من ذلك .. (ويتلمس أثرها في ظهره) .. ومزقت قلبي .. وهي تخرج من صدري هنا .. محدثة فتحة في ذيل هذا البالطو الذي يؤسفني انه ليس ملكي ، وانطلقت الرصاصة ومزقت الورق الملصق على الحائط .. وهذا ما أتخيل أنه وقع وحالتي الآن لا بأس بها .. واذا استبعدنا دهشتي من وجودي هنا فانني أبدو في حالة جيدة .. وخصوصا أن كبدي قد توقف فجأة عن ايلامي .. فقد كان مصدر كل ازعاجي قبل الموت .. وكنت حريصا على

اخفاء ذلك .. ولكن من الواجب ان اعترف هنا أن كبدي هي المسئولة عن أفكاري المتطرفة .. على الرغم من أنني كنت أظن في ذلك الوقت أن القيم الاخلاقية هي وحدها التي كانت تتحكم في تقديري لكل شيء ... أما وفاتي التي شاهدتموها حضراتكم ، فهي وفاة تافهة ، وان كان يحزنني أن أروي تفاصيلها ، ولكن هذه الوفاة عادية جدا .. صحيح أن هذه الوفاة تجيء في نهاية المسرحية .. كما يتبادر إلى أذهان حضراتكم .. الا أنه عندما يظهر أناس قد وضعوا شرائط حمراء على أذرعتهم فهذه هي النهاية لكل شيء .. ولكن لأسباب يمكن أن توصف بأنها علاجية فقد نقلنا مقتلي إلى بداية المسرحية ، وهذا يمكننا من التغلب على أحد المشاهد السيئة بسرعة .. وان كنت في اللحظة الأليمة .. ولا أريد أن أخفي عنكم ذلك .. عندما تحين وفاتي .. سوف تكون هناك جثث أخرى .. وهي حقيقة قد تربكنا في هذه المسرحية ما دامت هذه المسرحية الكوميدية سوف تهتم بأشياء كثيرة من بينها زواج صديقي السيد مسيسبي وأقول تهتم بأشياء كثيرة لأنها سوف تتناول النهاية الأليمة لثلاثة رجال آخرين .. (وهنا تتدلى من المسرح ثلاثة تماثيل نصفية من اليسار إلى اليمين .. لكل من سانت كلود .. والكونت ومسيسبي .. والتمثالان الأخيران قد اتشحا بالسواد وهما يتدليان ويظلان معلقين في مؤخرة المسرح) .. قد تكون الأسباب مختلفة .. مثل تغير هذا العالم وانقاذه .. ولسوء حظهم جميعا ارتبطوا بسيدة... (يتدلى تمثال انستاسيا .. وقد اتشح أيضا بالسواد .. ويظل معلقا بين الكونت ومسيسبي) .. لا يمكن تغييرها او انقاذها لأنها لا تحب الا اللحظة التي هي فيها .. ولكني اذا أعدت النظر في الأمر فانني أرى أن هذا أمتع سلوك يتخذه الانسان في هذه الحياة .. وهذه الكوميديا كان

من الممكن أن نسميها « غراميات الكونت » .. أو « مغامرات السيد سانت كلود » أو اذا أردنا أن نجعل اسمها موجزا جميلا قلنا « انستاسيا وعشاقها » ..

.. (وكلما تحدث عن أحد أشار إلى تمثاله) .. والحقيقة أن عقدة هذهالمسرحية وهي تنمو..تجعل كل مشروع يصبح لا شيء.. ويتحول كل شيء إلى عنف وفوضى .. وهذا شيء مؤسف حقا .. ولكن هذه هي الحياة .. ويستحيل تغييرها بعد فوات الأوان .. « وهنا تختفي التماثيل » .. واذا حدث في هذه اللحظة ان وجدتم واحدا من الذين نجوا يمر تحت هذه النافذة انظروا .. فهذا واحد منهم .. (الكونت يمر وقد رفع علما أزرق .. تلاصقه كتيبة من جيش الخلاص والعلم في يده) فانني أرجوكم أن تتجاوزوا تماما عن هذه المسألة فمن المستحيل الا تحدث خصوصا أن هذه الغرفة تقع في الطابق الارضي .. كما هو واضح من مجرد النظر إلى أغصان الاشجار التي ترونها شجرة تفاح وشجرة سرو .. هذا إذا أردنا الدقة .

ولنبدأ قصتنا فمن الممكن أن نقول مثلا انني موجود في روما أحاول أن أشعل الثورة من أجل اسقاط الملك ميخائيل .. أو انني مع الكونت في مدينة تام بانج بالقرب من أحد المستنقعات في قلب بورنيو وهو يحاول استئصال الزائدة الدودية لرجل مخمور وهو مخمور أيضا .. (تتدلى صورتان تصفان هذه الوقعة) ولكن يجب أن نبقى في هذه الغرفة التي أصبحت مألوفة لنا .. (تنسحب الصورتان) .. ولن نجد ذلك صعبا ما دمنا لم نبرح هذا المكان .. وان لم يتضح بعد أين يقع هذا البيت .. فمرة يرى المؤلف أنه في الجنوب بدليل وجود شجرة سرو ووجود معبد وبحر .. ومرة أخرى يجعل البيت في الشمال ولذلك اختار

شجرة تفاح والكاتدرائية .. على كل حال هيا بنا نعود إلى الوراء خمس سنوات قبل وقوع الكارثة التي شاهدتموها .. لنعد إلى سنة ١٩٥٨ أو ١٩٥٩ أي قبل الآن بخمس سنوات فهذا ممكن وليكن في شهر مايو .. النوافذ مفتوحة قليلا .. (تفتح النوافذ قليلا) .. وعلى الترابيزة ورود حمراء وفوق الساعة القديمة تتعلق صورة رجل أسعده الحظ بالزواج من أنستاسيا .. صورة صاحب مصنع سكر البنجر والذي اسمه فرنسوا ..

(وتتدلى صورته) ..

أما الخادمة فانها تصحب صديقي القديم مسيسبي ..

(الخادمة تتقدم مسيسبي الذي يدخل من اليمين) ..

الذي يقف هناك دائما مرتديا ملابس سوداء دائما قد أعطى العصا والبالطو والقبعة للخادمة .. بينما أخرج أنا بطريقتي العادية وأتسلل من النافذة كما كنت أفعل في حياتي السابقة وليس هذا هو الطريق المألوف لاختفاء الموتى ... على كل حال وأنا أبحث لي عن مكان ..

(ينظر إلى الأرض في ارتباك وشك) .. لا أعرف أين هو (يتسلل من النافذة اليسرى) ... فان صديقي مسيسبي ، منذ خمس سنوات في هذا المكان بالذات ، قد اتخذ قرارا هاما ... (يختفي سانت كلود) ..

الخادمة : سوف تحضر سيدتي حالا .

(تخرج الخادمة ناحية اليمين ينظر ميسسبي إلى صورة صاحب مصانع البنجر عندما تدخل انستاسيا .. من اليسار تنحني لها) ..

هي : أردت مقابلتي ؟ ..

ميسبي : اسمي ميسبي .. فلورنستان ميسبي ..

هي : أخبرتني في خطابك أن لديك أمرا عاجلا تريد مناقشته معي .

ميسبي : نعم عاجل جدا .. يؤسفني أن عملي يمنعني من أن أجيء في أي وقت آخر غير وقت الغذاء ..

هي : هل كنت صديقا لزوجي ؟
(وتنظر بسرعة إلى صورة زوجها وكذلك يفعل هو) ..

ميسبي : تأثرت جدا لوفاته غير المتوقعة .. (ينحني)

هي : (في ضيق) مات بأزمة قلبية ..

ميسبي : (ينحني مرة اخرى) .. أعبر لك عن عميق أسفي ..

هي : هل لك في فنجان قهوة ؟ .

ميسبي : منتهى اللطف .. شكرا ..
(ويجلسان : هي إلى اليسار وهو إلى اليمين تصب له القهوة ومن الضروري أن تكون عملية صب القهوة على جانب كبير من الدقة فتكون حركة شرب القهوة في منتهى الدقة فكلاهما يرفع الفنجان إلى شفتيه في لحظة واحدة) ..

هي : في خطابك رجوتني بشدة أن أستمع إلى شيء تريد أن تقوله .. وأنت فعلت ذلك باسم صداقتك لزوجي .. (تنظر إلى صورة زوجها) .. والا ما وافقت على زيارتك بعد وفاة زوجي مباشرة .. أرجو أن تفهم ذلك ..

ميسبي : افهم ذلك جيدا .. فأنا احترم المرحوم .. (ينظر إلى صورته) ولولا أن مهمتي عاجلة ما فرضت عليك هذه الزيارة خصوصا وأن في أسرتي شخصا قد مات أيضا .. انها زوجتي الشابة التي توفيت منذ أيام ... بعد فترة صمت ذات معنى) وكان إسمها مادلين .

(ينظر اليها بامعان في نفس اللحظة التي تنظر فيها اليه)

هي : يؤسفني أن أسمع ذلك ..

ميسبي : لقد كان لأسرتنا طبيب مشترك انه الدكتور بونسلز فهو الذي أخبرني بالنبأ الحزين عن وفاة زوجك .. الدكتور بونسلز هو الذي شخص وفاة زوجتي بأنها أزمة قلبية أيضا ...
(ثم يعود ينظر اليها بامعان عندما تنظر اليه) ..

هي : أتقدم اليك بخالص العزاء .

ميسبي : لكي تفهمي السبب الذي جئت من أجله فمن المهم جدا أن تعرفي كل شيء عني يا سيدتي .. أنا النائب العام .. (هي تضع فنجانها في فزع) ...

ميسبي : لا تؤاخذيني اذا أفزعتك بهذه الصورة . (ينحني) . عفوا لقد اعتدت على اثارة الخوف والفزع .. (انستاسيا تدق جرسا فضيا تدخل الخادمة من اليمين .. تقدم لها فنجانا آخر وطبقا وتخرج) ..

هي : لم تأخذ شيئا من السكر بعد .. تفضل .

ميسبي : شكرا ..

هي : (تبتسم) فما الذي أتى بك الآن يا سيادة النائب العام ؟ .

ميسبي : السبب خاص بزوجك .

هي : هل هو مدين لك بشيء ؟

ميسبي : دينه ليس ماليا .. فكلانا لا يعرف الآن .. ويؤسفني يا سيدتي أن أذكر زوجك بالسوء .. فقد كان يخدعك ..
(انستاسيا في حالة ضيق شديد يعقبه صمت محرج) ..

هي : (ببرود) من قال لك هذا .. ؟

ميسسبي : (بهدوء) .. قدرتي التي لا تخطىء على الملاحظة .. فأنا أملك قدرة على شم رائحة الشر في أي مكان انها موهبة سببت لي متاعب لا يمكن تصورها ..

هي : لا أعرف حقيقة كيف تتهم زوجي بهذه الصورة .. بعد وفاته مباشرة بهذه الغرفة التي ما يزال حيا فيها . ؟ ان اتهامك شرير.

ميسسبي : الحقيقة أن زوجك الذي يخدع سيدة مثلك أكثر شرا من هذا بكثير .. أحب أن أقول لك انني لم أحضر هنا بمحض ارادتي وانما لأننا مرتبطان معا بمصير كريه .. انني أرجوك أن تتحلي بالشجاعة والهدوء وأن تستمعي إلي لأن عذابنا المشترك واحد لدرجة أن الواجب يحتم علينا أن يحترم كل منا الآخر إلى أقصى درجة ...

هي : (بعد لحظة صمت في نبرة عادية) .. لا تؤاخذني على اضطرابي الطبيعي فقد أرهقتني الوفاة المفاجئة لزوجي فرانسوا . هل لك في فنجان آخر من القهوة . ؟

ميسسبي : فعلاً أريد فنجانا آخر .. ان مهمتي تحتاج إلى أعصاب من الحديد (تصب له القهوة) ...

هي : هل تحب شيئا من السكر .. ؟

ميسسبي : شكرا .. السكر له أثر مهدىء ويؤسفني انني في وضع لا يسمح لي بأكثر من نصف ساعة لكي نفرغ من مناقشة هذا الموضوع الهام لأنه يجب أن أحصل على موافقة المحلفين على حكم بالاعدام بعد ظهر اليوم .. فالمحلفون ضيقو الأفق هذه الايام .. (يشرب القهوة ..) .. هل ما زلت تعتقدين ان زوجك لم يخدعك ؟

هي : انه بريء ...

ميسي : (بعد لحظة صمت) .. وهو كذلك فانت تفخرين ببراءته فهل يا ترى تستمرين على هذا الرأي اذا عرفت اسم السيدة التي كان زوجك يخونك معها ؟ ..

هي : (تقفز من مكانها) ... من هي ؟ ..

ميسي : (بعد لحظة صمت) .. قلت لك اسمها .. مادلين .

هي : (في فزع لأنها فهمت فجأة) .. روجتك ؟

ميسي : زوجتي ..

هي : (في رعب) .. ولكني ظننت أنها ماتت ؟

ميسي : (بأقصى درجات الهدوء) .. نعم ، ماتت بأزمة قلبية .. (باحترام). لقد خدعنا نحن الاثنين يا سيدتي .. زوجك فرنسوا وزوجتي مادلين ..

هي : شيء رهيب ..

ميسي : الزواج عادة شيء رهيب (ويمسح بمنديله قطرات عرق على جبينه) .. هل لي في فنجان آخر من القهوة ..

هي : (منهارة) .. أرجوك أن تسامحني .. فأنا شديدة الاضطراب (تصب له القهوة) ..

ميسي : (بارتياح) .. لقد تجاوزنا المرحلة الأولى من هذه الرحلة الرهيبة فأنت اعترفت بأنك تعرفين بخيانة زوجك .. وهل كان لديك الدليل على ذلك منذ وقت طويل .. ؟

هي : (صوت بلا نبرات) .. منذ أسابيع فقط .. عندما وجدت خطابا بتوقيع مادلين .. مليئاً بالعواطف الملتهبة وقد أذهلني هذا الاكتشاف.

وصدمني كأنني ضربت بعصا على رأسي .. وأنا لم افهم لماذا فعل زوجي ذلك . ؟

ميسبي : لأنك لا تعرفين زوجتي فهي من أرق النساء وهي بالغة الجمال متوسطة القامة .. واكتشاف خيانتها قد ألقى بي في أعماق الجحيم .. وأنا أيضاً وجدت خطابا مطبوعاً عليه عنوان زوجك لا بد أن الحب بينهما كان على درجة عالية من الالتهاب لذلك لم يتخذا أبسط أنواع الاحتياط .

هي : بعد وفاة زوجي فكرت في أن أعفو عنه .. أردت أن احتفظ بذكرى الرجل الذي أحبني بعمق يوماً ما .. والذي لن أتوقف عن حبه .. وهذا هو السبب في أنني تفاديت الاجابة عن اسئلتك فاعذرني وقد اضطررتني إلى أن أفكر مرة أخرى فيما حدث ..

ميسبي : وأنا باعتباري زوجاً للسيدة التي خانك زوجك معها يؤسفني أنني لم أستطع تفادي ذلك ..

هي : وأنا أيضاً أفهم موقفك فأنت كرجل تحتاج لتوضيح .. (تنهض) أشكرك .. يا سيادة النائب العام على هذا التوضيح الذي قدمته لامرأة ضعيفة مثلي .. وأنا الآن أعرف كل شيء عن فرنسوا .. ومن المؤلم أن أعرف كل شيء .. أرجو أن تسامحني فأنا متعبة جداً .. زوجتك وزوجي قد ماتا .. ولا نستطيع أن نحاسبهما على شيء ولا أن نطلب منهما مزيداً من الحب فلم يعد لهما وجود بالنسبة لنا .. (ينهض هو أيضاً) .

ميسبي : (بجدية) .. في هذه اللحظة الفريدة عندما تطل علينا أولى شعاعات الحقيقة فان خبرتي كنائب عام التي استغرقت ٢٥ سنة تصرخ في دمي وتطالبنا نحن الاثنين .. أنه قد حان الوقت لكي نعترف بكل الحقيقة حتى لو حطمتنا ..

(ينظر اليها بتصميم يضطرها للجلوس ويجلس) ..

هي : لا افهم ما تقول ؟

ميسبي : انما أشير إلى وفاة زوجك ..

هي : لا أعرف ماذا تريد ...

ميسبي : في بداية حديثنا وبلا سبب واضح أخبرتني بسبب وفاة زوجك.. انك أفزعتني عندما عرفت . مهنتي هذه كلها قائمة على البراهين .. كنت في حاجة اليها ..

هي : أرجوك أن توضح لي ما تريد ؟ ..

ميسبي : سأكون في منتهى الوضوح .. انني أشك في أسباب الوفاة

هي : (بسرعة) .. كثيرون يموتون بالأزمة القلبية.. في سن الخمسين ..

ميسبي : ولكن صورته تكذب ذلك .. ان رجلا في مثل صحته لا يمكن أن يموت بأزمة قلبية ثم ان الناس الذين اهتم بهم لا يموتون بأزمة قلبية ..

هي : ماذا تقصد ؟

ميسبي : أليس من الأفضل أن توفري عليّ هذا الجهد .. فاصارحك بأنك وضعت السم لزوجك ؟ ..

هي : (في ذهول) .. هل تصدق ذلك ؟

ميسبي : (بوضوح) .. نعم ..

هي : (في دهشة) .. لا .. لا ..

(وقد اصفر وجهها .. أما هو فقد التقط وردة من الفازة اليابانية وراح يشمها) ..

ميسبي : يجب أن تتماسكي وتشعري بالارتياح لأن العدالة قد عرفت طريقها اليك ..

هي : (صارخة) .. لا ..

ميسبي : (يعيد الوردة إلى مكانها .. وتنهض هي بشيء من الرزانة .. وينهض هو أيضاً) ..

هي : ان الدكتور بونسلز لم يتردد في تشخيص سبب وفاة زوجي بأنه أزمة قلبية وأعتقد أن النائب العام سوف يأخذ برأي الطب الشرعي ..

ميسبي : نحن يا سيدتي .. أبناء طبقة اجتماعية واحدة وعندما نتشكك في أسباب الوفاة .. فان الطب الشرعي يجيء ويعلن أنها أزمة قلبية ..

هي : ما دمت قد أخبرتك بكل شيء يمكن أن يقال عن وفاة زوجي التي جاءت مفاجأة لنا نحن الاثنين .. فهل أرجوك في أن تخرج من هنا فوراً ..

ميسبي : (مهموماً) .. آه في هذه الحالة يكون من واجبي أن أواصل هذه المناقشة في غرفة أخرى وفي ظروف مختلفة ..

هي : لا أستطيع أن أمنعك من أداء هذا الذي تسميه واجبك .

ميسبي : في استطاعتك اذا اتخذت موقفاً غير متحيز .. ان لديك الآن فرصة نادرة في مواجهة النائب العام في بيتك .. هل تفضلين أن تفعلي ذلك في ظروف أخرى مهينة في المحكمة؟ لا أتمنى لك ذلك.. كما يدهشني أن أرى رفضك الفظيع لفهم الجانب الانساني لطبيعة عملي .. انه أسهل جداً أن تعترفي بجريمتك وأنت تشربين القهوة من أن تفعلي ذلك أمام المحلفين .. (يجلسان) ..

هي : (بصوت منخفض) .. تحت أمرك ..

ميسسبي : (قد استراح) .. هذه ولا شك أحسن طريقة ..

هي : ولكن لا توجد قوة في العالم تكرهني على الاعتراف بالجريمة التي تريد أن تفرضها علي لأنه يبدو لي أنك ضحية لغلطة رهيبة ..

ميسسبي : المتهمون فقط هم الذين يغلطون وليس النائب العام .

هي : سأقاتل دفاعا عن براءتي كحيوان مفترس ..

ميسسبي : اطلبي من الله يا سيدتي ألا تضطري إلى هذا القتال ، فمن الجنون أن تقاتلي رجلا مثلي وان كان الناس يفعلون ذلك دائما دقائق وساعات وأياما وبعدها ينهارون – انني أرتجف كثيراً لمشهد ضحاياي . هل تريدين أنت أيضاً أن تزحفي كالدودة عند قدمي ؟ .. أرجو أن تعلمي أن النظام الأخلاقي للكون يقف ورائي وأن كل مـــا يعارضني يضيع . وقد يكون الاعتراف صعبا ولكن ارغامك على الاعتراف شيء مخيف جدا ..

هي : هل أنت واعظ أم جلاد ؟ .

ميسسبي : مهمتي الخطيرة تضطرني إلى أن أكون الاثنين معاً ..

هي : لا يمكن أن تجيء إلى هنا وأن توجه إلى هذه التهم الرهيبة بلا دليل ...

ميسسبي : اذن .. لا مفر من أن أذكر اسم الكونت بودو ..
(هي في حالة خوف شديد ولكن تستعيد هدوءها)

هي : (ببطء) لكني لا أعرف هذا الاسم ..

ميسسبي : مع أنك امضيت شبابك معه .. في مدينة لوزان عندما كان أبوك مدرساً في احدى المدارس الداخلية للبنات وكنت تقيمين في قلعة تملكها أسرة الكونت .. ثم انفصلتما . ومنذ سنوات قليلة التقيتما

في هذه المدينة .. أنت كزوجة وهو كمدير للمستشفى التي أسسها للفقراء ..

هي : (ببطء) ولكني لم أعد أراه الا قليلاً .. هذه الأيام .

ميسبي : في يوم ١٦ طلبت منه قطعتين من السم الأبيض .. في شكل قوالب سكر .. ثم إنكما من أشد المعجبين بحوادث التسمم في الروايات الأدبية المشهورة ..

هي : (بعناد) انه لم يعطني السم ..

ميسبي : ولكنه اعترف لي بكل شيء ..

هي : (بمرارة) ليس صحيحاً ..

ميسبي : بعد أن هددته بسحب رخصته كطبيب .. ترك المدينة بأسرع مما يستطيع وذهب إلى المناطق الاستوائية .. هربا من السجن ..

هي : (قفزت من مكانها) هرب ؟ ..

ميسبي : الكونت هرب ..
(وتغوص في مقعدها بينما يمسح هو العرق على جبهته)

هي : (بعد فترة صمت طويلة) .. ولماذا تهدده بهذه القسوة ؟ لقد كان مستشفى الفقراء حياته كلها ..

ميسبي : انما طبقت قانون المهن الطبية .. (بعد لحظة صمت) وطبقاً لما جاء في اعترافه عندما بلغ اليأس مداه .. فانك طلبت منه السم لتقتلي كلبك ..

هي : (بسرعة) كان لا بد أن أقتل الكلب لأنه مريض ..

ميسبي : (بأدب) .. اسمحي لي أن أتدخل قليلا في حقوقك المنزلية (ينهض وينحني ويدق الجرس الفضي لتدخل الخادمة من اليمين) .

ميسبي : اسمك ؟

الخادمة : لوكرسيا ..

ميسبي : هل كان لسيدتك كلب يا لوكرسيا ؟

الخادمة : مات ..

ميسبي : منذ متى ؟

الخادمة : منذ شهر ..

ميسبي : في استطاعتك أن تعودي إلى عملك ..
(الخادمة تخرج من اليمين .. ويظل ميسبي واقفا)

ميسبي : لقد مات كلبك منذ شهر .. بينما حصلت على السم من صديق الطفولة .. الكونت بودو .. منذ خمسة أيام فقط .. اخترت قطعتين من سم سريع الذوبان على شكل قوالب سكر . فتوفي زوجك في نفس اليوم فالى متى نظل في هذه المهزلة المهينة لكل منا يا سيدتي ؟ لقد أرغمتني على استخدام أساليب لا يلجأ اليها النائب العام .. الا مضطرا .. أنت أرغمتني أيضا على أن استجوب خادمتك ..

(تنهض هي) ..

هي : (في صوت منخفض) .. ولكني لم أقتله بالسم ..

ميسبي : معنى ذلك أنك ترفضين الأدلة الواضحة ..

هي : لأني بريئة ..

ميسبي : ألا يوجد شيء في العالم يجعلك تعترفين انك قاتلة ؟

هي : لم أقتل زوجي ..

ميسي : (ببطء) اذا فاعتقاد زوجتي مادلين بأن وفاة عشيقها كان نوعا من انتقام زوجته .. هذا الاعتقاد الذي أصابها بحالة من اليأس لا توصف .. لم يكن سوى خيال جنوني ؟ .

هي : وهل اعتقدت زوجتك ذلك ؟

ميسي : ان مادلين قد أصيبت بالجنون لمجرد أنها تصورت أنك قتلت زوجك .. انتقاما لخيانته ..

هي : (وقد استشعرت النصر) .. اذن لقد تعذبت قبل أن تموت .

ميسي : كثيرا ..

هي : (منتصرة) .. اذن فقد حققت ما أردت ان أحفره في قلبها فتوجعت وتألمت .. وبكت وصرخت .. ودفعت الثمن من يأسها مضاعفا لكل لحظة سعادة مع زوجي .. قتلتهما معا .. هو مات بيدي وهي ماتت بموته .. ماتا حيوانين .. ماتا كلبين ..
(يجلس مرة أخرى وهي أيضا) ..

ميسي : اذن فأنت وضعت له السم يا سيدتي ؟ .

هي : نعم .. كنا نحب بعضنا بعضا .. خانني فقتلته ..

ميسي : في صباح يوم ١٦ مايو ذهبت إلى الكونت .. ذهبت اليه باعتباره صديق الطفولة .. وصديقا لزوجك .. وأعطاك السم .. معتقدا أنك سوف تستخدميته في قتل كلبك وأنت قدمته لزوجك مع فنجان القهوة بعد الغداء بدلا من السكر ..

هي : أخذ قطعة واحدة ومات ..

ميسي : هل فعلت هذا كله ؟ .

هي : (بكثير من الغرور) .. نعم فعلت كل هذا ..

ميسبي : وغير آسفة على هذا العمل الشنيع ؟ ..

هي : بل أستطيع أن أكرره بعد ذلك ..

ميسبي : (شاحبا) اذا فأنا على شفا هاوية من الانفعال العنيف ..

هي : (لا مبالية) .. في استطاعتك أن تلقي القبض علي ..

ميسبي : (ينهض ببطء وبجدية) .. لم .. أجيء لذلك .. جئت أطلب يدك .. أتزوجك ..

(ينحني في صمت رهيب)

هي : (وقد أدارت رأسها) تطلب ماذا ؟ ..

ميسبي : يـــدك ..

هي : يـــدي ؟

ميسبي : أنا رجل ثري ومرتبي كبير جدا .. وأشغل فراغي في جمـــع النقوش القديمة وخصوصا مناظر الحقول التي تصور لي أصالة الطبيعة التي بلا خطايا .. وأتوقع معاشا يتناسب مع وضعنـــا الاجتماعي .

هي : (شاحبة حتى الموت) .. هذا شيء رهيب ..

ميسبي : (ينحني مرة أخرى) الحياة الانسانية رهيبة يا سيدتي .
(تجلس وكأنها منومة .. وجلس هو أيضا) ..

ميسبي : هل في الامكان أن أطلب فنجان قهوة آخر ؟ .
(ينظر في ساعته) ما يزال باقيا اثنتا عشرة دقيقة ..

هي : (تملأ فنجانه بصورة آلية) .. مستحيل أن أفهم سلوكك هذا .. فأنت أولا جئت ترغمني على الاعتراف بهذا العمل الذي يملأ

قلب أي رجل بالفزع .. انه يدل على مقدار ما تستطيع أن تفعله المرأة .. وبعد ذلك طلبت إلي ببرود شديد أن أتزوجك ..

ميسبي : (يضع لنفسه السكر في القهوة) .. دعيني أعترف لك بشيء رهيب أيضاً فأنا قتلت زوجتي مستخدما نفس السم الذي يشبه السكر تماما كما فعلت أنت ..

هي : (بعد لحظة صمت وفزع) .. أنت أيضا ؟ ..

ميسبي : (بيقين) أنا أيضا ..

(تجلس في ذهول بينما يقلب هو السكر في الفنجان) .

ميسبي : وبعد أن صادرت ما تبقى من سم في حوزة الكونت .. كانت لديه قطعتان عدت إلى البيت ووضعت احداهما في فنجان مادلين بعد الغذاء وبعد نصف ساعة استسلمت لنوم هادىء .. (يشرب القهوة ويضع الفنجان ببلادة) . وكانت أسوأ نصف ساعة في حياتي ..

هي : (في ضيق) .. اذن فهذا هو المصير الذي يربطنا معا ؟

ميسبي : (مرهقا) .. لقد اعترف كل منا بفعلته ..

هي : انت قتلت وأنا أيضا .. كلانا مجرم .

ميسبي : (بتصميم) .. أنا لست مجرما فبين فعلتي وفعلتك فرق شاسع فأنت استجبت لرغبة مخيفة .. أما أنا فقد استجبت لقانون الأخلاق أنت قتلت زوجك .. أما أنا فأعدمت زوجتي ..

هي : (في فزع) أعدمتها ؟ ..

ميسبي : (بكبرياء) أعدمتها ..

هي : لا أدري كيف أفهم كلماتك المخيفة ..

ميسسي : افهميها حرفيا . لقد وضعت السم لها .. لأنها استحقت حكم الاعدام على خيانتها ..

هي : لكن لا يوجد قانون في العالم يحاكم الخائن بالاعدام ؟ ..

ميسسي : الوصايا العشر ..

هي : كان ذلك من الوف السنين ..

ميسسي : لكني حريص على التمسك بها ..

هي : أنت مجنون ..

ميسسي : بل رجل أخلاق إلى أبعد حد .. فبمرور الوقت أصبحت قوانيننا منحلة فهي أوراق مالية متداولة زائفة في مجتمع دينه اللذة .. وهو مجتمع قد بارك السرقة .. ويبيع ويشتري في المرأة .. والبترول .. انهم المثاليون فقط الذين لا صلة لهم بالواقع هم وحدهم الـذين يتخيلون أن هذه الشياطين التي تدفعها العدالة لها رصيد .. واذا نحن قارنا قانون الكتاب المقدس الذي يحكم باعدام طرفي الخيانة بالقانون المدني ، لكان شيئاً يبعث على السخرية . ولهذا السبب المقدس كانت جريمة زوجتي مطلقة . فهي مسألة تتعلق بقلب مسار التاريخ العالمي الذي فقد قانونه .. ولم يكسب الا حرية فارغة من أي التزام أخلاقي ..

هي : انني في حيرة .. لا أعرف لماذا طلبت مني أن أتزوجك ؟ ..

ميسسي : أنت جميلة ومذنبة .. وهذا يمس قلبي ..

هي : (متشككة) أنت تحبني ؟

ميسسي : لم أعد قادرا على الحب ..

هي : ماذا تعني ؟ ..

ميسي : سيدتي أنت مجرمة .. وأنا النائب العام .. وأفضل أن أرى المذنب على أن أرى الذنب..فالذنب يمكن التكفير عنه ورؤية المذنب مميتة.. وفي منتهى هذه ظللت ٢٥ عاما لا أرى الا الذنب .. فمنظره حطمني .. لقد أمضيت ليالي طويلة أستجدي قوة الحب في أن تتجه إلى شخص واحد ، واحد فقط ولكن بلا جدوى لم أعد قادرا على الحب .. أستطيع أن أقتل فقط .. أصبحت وحشا أمسك برقاب الناس .

هي : (مرتجفة) .. ولكنك رغم ذلك أبديت رغبتك في الزواج مني ؟

ميسي : انها العدالة المطلقة .. أرغمتني على هذه الخطوة .. لقد أعدمت مادلين .. بصفتي زوجا لا بصفتي الرسمية .. وبذلك أكون قد اعترضت على القانون المدني .. لهذا السبب يجب أن أعاقب على ما فعلت مهما تكن نيتي خالصة .. غير أنني في هذه السن يجب أن أكون قاضيا على نفسي ولذلك أصدرت حكمي .. وكـان حكمي على نفسي بالزواج منك ..

هي : (تنهض) .. سيدي ..

ميسي : (ينهض) سيدتي ..

هي : لقد استمعت إلى حديثك الشرير في صمت .. غير أن الذي قلته يتجاوز حدود اللياقة .. فأنت تعلن صراحة أن الزواج مني عقوبة على جريمة قتلك لزوجتك ..

ميسي : وأنا أرجوك أن تعتبري زواجك مني عقوبة ..

هي : اذن فأنت تعتبرني مجرمة عادية .. ؟

ميسي : لأنك لم تضعي السم لزوجك تطبيقا للقانون .. بل لسبب أنـك تحبينه ..

هي : ولكن لو قتلت امرأة أخرى زوجها بسبب الحب .. كما فعلت أنا .. هل تقدمها للمحاكمة ؟

ميسبي : أتمنى فقط أن أجعل ذلك أمل حياتي كلها .. فلم يحدث الا في حالات قليلة ان فشلت في استصدار حكم بالاعدام وفي كل مرة يحدث ذلك تسوء صحتي لدرجة أصبح فيها على حافة القبر .

هي : (بعد صمت طويل وباصرار) .. أرجوك أن تستدعي البوليس .

ميسبي : مستحيل فنحن بما فعلناه أصبحنا مرتبطين لا انفصام لنا .

هي : لا أريد تخفيف العقوبة .

ميسبي : لا شك في ذلك فهذا الزواج ليس تخفيفا للعقوبة بل تكثيفا لها .

هي : (في شبه اغماء) .. أنت تعرض على الزواج لتعذيبي .. إلى ما لا نهاية ..

ميسبي : لنتعذب إلى ما لا نهاية .. فزواجنا جحيم لنا ..

هي : لا معنى لهذا ..

ميسبي : أنت الآن مجرمة .. ولكن عن طريق هذا الزواج سوف أجعلك ملكا ..

هي : لا تستطيع ارغامي على ذلك ..

ميسبي : أطلب الزواج منك باسم القيم الاخلاقية .

هي : (بفزع) أطلب البوليس ..

ميسبي : في خلال خمسة وعشرين عاما كنائب عام حصلت على مائتي حكم بالاعدام .. وهو رقم لم يصل اليه أحد في هذا العالم البرجوازي .. فهل يتحطم هذا العمل الخارق بسبب امرأة ضعيفة .

انا يا سيدتي ننتمي إلى أعلى طبقة في المجتمع المعاصر .. النائب العام .. وزوجك صاحب مصنع لاستخراج سكر البنجر .. فلنتصرف كائنين على أعلى درجة من المسئولية .. تزوجيني لندخل معا في عالم الاستشهاد بالزواج ..

هي : (وهي تئن وتصرخ في يأس) .. أطلب البوليس ..

ميسبي : (في برود الجليد) .. في عصرنا لا يصدر حكم الاعدام على القتل والخيانة والسرقة وهتك العرض والكذب واستغلال النفوذ والالحاد .. وسيصبح زواجنا انتصارا للعدالة .

هي : (شاحبة حتى الموت) .. يا الهي !

ميسبي : (في شر) .. تزوجيني ..

هي : (تنظر في يأس إلى صورة زوجها) .. أين أنت يا فرنسوا .

ميسبي : اذن انت تقبلينني زوجا . ؟

هي : أقبلك زوجا ؟

ميسبي : (يخرج الدبلة من أصبعه) .. أرجوك أن تعطيني الدبلة التي تسلمتها من المرحوم زوجك ..

هي : تخلع خاتم الزواج من أصبعها .. وتضعه في أصبعه ..

ميسبي : خذي الخاتم الذي تسلمته من مادلين ..
(يضع الخاتم في أصبعها وينحني) .. أنت الآن زوجتي .

هي : (بلا مبالاة) .. أنا زوجتك .

ميسبي : قبل الاجراءات القانونية ستمضين ٦ أشهر في سويسرا فأعصابك في حالة سيئة .. وهواء الجبال سوف ينعشك وسأتفق مع مكاتب

السياحة لتنظيم هذه الرحلة لك .. (يدق الجرس الفضي .. تدخل الخادمة من اليمين) هاتي القبعة والعصا والبالطو .

(تخرج الخادمة)

سوف نتزوج في الكنيسة وسوف يتولى المراسم القانونية وزير العدل .. أما طقوس الكنيسة فسوف يتولاها الأسقف ينسي .. وكلاهما صديق قديم .. فقد كنا طلبة في جامعة اكسفورد .. وسوف نعيش هنا على مدى عشر دقائق ، دقائق من المحكمة.. واذا لم تتسع غرف البيت لمقتنياتي الفنية ، فسوف نبني غرفا اضافية .. ستكون حياتنا قاسية .. فأنت كزوجة مخلصة .. ستقفين إلى جواري في السراء والضراء .. وسوف نرقب معا تنفيذ كل أحكام الاعدام .. وهذا يحدث عادة في أيام الجمعة .. وأكثر من ذلك .. أتوقع أن تواسي هؤلاء الذين سينفذ فيهم حكم الاعدام .. وخاصة الفقراء منهم .. ستحملين اليهم الزهور والشيكولاته والسجائر اذا كانوا يدخنون .. أما فيما يتعلق بالمقتنيات الفنية ، فاستماعك لبعض المحاضرات في الجامعة يكفي جدا .. (ينحني .. وفجأة يصرخ) .. والآن سوف أحصل على قرار حكم الاعدام هذه الليلة .. هذا مؤكد .. (يقف بلا حركة .. صمت) ..

هي : (تمسك جبهتها بيدها وتصرخ فجأة في يأس) .. أيها الكونت أين أنت ؟ ..

(وتندفع إلى اليسار) .

ميسي : سيداتي وسادتي .. هذا ما حدث منذ خمس سنوات .. وكانت البداية الدرامية لزواج كان جحيما .. وأي جحيم .. ولكنه برغم ذلك وهذا هو المهم .. كان له أثر نبيل على حياتي أنا وزوجتي ..

فقد تفرغت بكل كياني لعملي في المحكمة .. وكنت سعيدا .. فقد انتصر العدل .. أما زوجتي فأصبحت شاحبة كالموت .. ومع الأسف لم أستمع اليها وهي تدق جبينها .. تنادي الكونت في يأس .. وهو ما شاهدتموه أنتم الآن .. فقد هبطت الدرج .. وكنت في الشارع .. وهناك شيء واحد أسفت عليه .. لا لسبب أنني أشك في زوجتي .. فأنا ما أزال أعتقد انها بريئة وعاجزة تماما عن ارتكاب الخيانة .. فقد كان من الواجب أن أهتم أكثر بحقيقة صداقتها البريئة بالكونت .. ذلك الخيال العاطفي الملتهب .. (الكونت يمر خارج النافذة) .. والذي هو كل ذكريات الطفولة .. فقد كان في الامكان تفادي الكثير .. الكثير جدا .. ليس فشل الجهود الهائلة التي بذلتها لاعادة بناء العالم من أساسه بتطبيق الوصايا العشر ، ولكن هذه النهاية المريرة التي انتهينا اليها نحن الاثنين .. وعلى الرغم مما ينتابنا من عذاب عقلي هائل فقد كانت سنوات زواجي الثاني أسعد ما في حياتي .. وكذلك مهنتي كانت موفقة .. فقد نجحت في زيادة المحكوم عليهم بالاعدام إلى مائتين وخمسين شخصا .. من بينهم أحد عشر فقط لم ينفذ فيهم حكم الاعدام .. بدافع الشفقة عليهم من رئيس الوزراء .. أما حياتنا الزوجية فقد سارت بمنتهى الدقة في المدار المحدد لها .. وكما توقعت أصبحت شخصية زوجتي أعمق .. بل انها اكتسبت موقفا ايجابيا من العواطف الدينية .. فقد راقبت تنفيذ الاعدام إلى جواري بمنتهى الهدوء والثبات .. دون أن تفقد عطفها الطبيعي على المذنبين .. (تنزل من السقف صورة لها وهي ترقب تنفيذ حكم الاعدام) .. أما زياراتها اليومية للسجن التي سرعان ما أصبحت ضرورة عاطفية لها فقد ضاعفت رغبتها في المساعدة حتى أصبحت مشهورة باسم ملاك السجون .. وبالاختصار كانت

فترة خصيبة .. أكدت نظريتي في أن القوانين الصارمة والتي نطبقها باخلاص هي وحدها القادرة على أن تجعل الانسان أفضل بل انسانا أسمى .. (تتراجع الصورة إلى حيث كانت) ومضت بضع سنوات .. وقد عرضنا الآن بداية الزواج .. فلنعرض الآن نهايته .. تغيرت .. الغرفة قليلا .. الخادمة تضع الآن لوحتين (تدخل الخادمة من اليمين تعلق اللوحتين) .. وهذا يكفي حتى ينقل اليكم جو التغيير .. في بيتنا .. أما بقية النقوش فبعضها موجود في مكتبي الذي أدخله من الباب الذي على اليمين – كما ترون – وبعضها في صالون زوجتي .. والبعض الآخر في غرفة النوم .. وبعضها في الصالة .. وإلى جانب صورة المرحوم المغطاة بالسواد ، والذي فارق هذه الحياة في ظروف تعيسة .. توجد صورة زوجتي الأولى مادلين التي ماتت في ظروف مشابهة .. وهي شقراء عاطفية كما ترون (تتدلى صورتها إلى جوار صورة المرحوم صاحب مصنع سكر البنجر والتي كانت في مكانها هذا منذ البداية .. وهي أيضا مجللة بالسواد .. وتخرج الخادمة من ناحية اليمين) .. وفي هذه الغرفة يوجد صديقي دييجو الذيلم يدخل عن طريق الساعة القديمة وهذا احتمال بعيد جدا على العكس من ذلك فانه يدخل عن طريق الباب الذي إلى اليمين (يدخل دييجو عن طريق الساعة القديمة ويعيد ربط كرافته أمام المرآة التي يستطيع أن يرى من خلالها الجمهور) ودييجو هو وزير العدل في هذا البلد الذي لا اسم له . ولا يمكن معرفة اسمه .. ومن الواجب ان أذكر لكم ان دييجو هذا مهتم جدا بالنواحي الانسانية في حياة زوجتي .. فهو عضو فخري في جمعية مساعدة المسجونين التي ترأسها زوجتي .. والآن سيداتي وسادتي .. انتم جميعا في الصورة .. وقد أشعل الوزير سيجارا .. وهذا دليل على انه يريد أن يتكلم .

الوزير : لا بـــد ..

ميسبي : لحظة واحدة ..

(يشعل هو أيضا سيجارا) .

الوزير : لا بد أن هذا حدث منذ خمس سنوات ..

ميسبي : (يتجه إلى الجمهور) .. يجب ألا ننسى أن الدنيا ليل .. احدى ليالي نوفمبر الكئيبة ويجب أن نغير الاضاءة . مصباح مضيء سوف يتدلى ليجعل لكل شيء لونا ذهبيا .

الوزير : منذ خمس سنوات تزوجت أنت ملاك السجون .

ميسبي : ان هذا التأييد الأخلاقي الذي أتلقاه من زوجتي قد غمرني بمنتهى الرضـــا .

الوزير : من النادر أن تواسي الزوجة هؤلاء الذين يعدمهم زوجها .. انه مدهش .. لقد حصلت أخيرا على ٢٥٠ حكما بالاعدام .

ميسبي : وهذا انتصار آخر في مجال العمل .. يضاعف ثقتي بنفسي ولا بد أنك جئت لتهنئني على ذلك .

الوزير : كمحام أعجب بك حقا .. ولكن كوزير للعدل فأنا مضطر إلى التخلي عنك .

ميسبي : هذا غريب ؟

الوزير : أنت ترى أن الموقف الدولي تغير الآن .. وأنا رجل سياسي ولا أريد أن أفقد شعبيتي مثلك .

ميسبي : أنا لا أحب أن يجرفني الرأي العام .

الوزير : انت عبقري .. المذنبون كلهم في يديك .. وكثيرا ما نبهتك الحكومة إلى الرأفة بالمذنبين .

ميسبي : الحكومة في حاجة إلي ..

الوزير : في حاجة اليك .. هناك خلاف بسيط ... ارتفاع نسبة الأحكام بالاعدام كان مفيدا .. فقد كان الغرض منه معاقبة المجرمين السياسيين .. وحفظ النظام .. ولكن عندنا اتجاه جديد الآن .. هو أن نسحب الأرض من تحت أقدام المعارضة عن طريق الأحكام المعتدلة والمخففة .. عن طريق قرارات العفو الشامل .. في بعض الأحيان تقطع الرؤوس باسم الله .. وفي أحيان أخرى يجب أن نكون في منتهى الرحمة لنرضي الشيطان .. ولا تستطيع دولة أن تفلت من هذا الموقف .. وكثيرا ما نفذنا أسلوبك هذا .. ولكنه الآن خطر علينا .. لقد جاملنا العالم الغربي وأثار علينا اليسار المتطرف ومن الضروري أن نتخذ ما نراه مناسبا .. والنائب العام الذي يعلن الناس أنه سعيد بتنفيذ حكم الاعدام في ٢٥٠ شخصا ويجرؤ على أن يعلن ضرورة تطبيق الوصايا العشر ، شخص لا يمكن احتماله .. واذا أردت الحقيقة فنحن هذه الأيام نبدو رجعيين ولذلك أستحلفك بالله .. ألا تتخذ هذا الموقف المتشدد .

ميسبي : وما الذي قررته الحكومة ؟

الوزير : رئيس الوزراء يطلب منك أن تستقيل .

ميسبي : هل أنابك عنه في هذه المهمة ؟

الوزير : هذا هو الغرض من الزيارة ..

ميسبي : ولكن طبقا للقانون المدني ، فان الموظف يفصل في حالة ثبوت جريمة التزوير أو الاتصال بدولة أجنبية أو تنظيم سياسي يعمل على قلب نظام الحكم .

الوزير : معنى ذلك أنك ترفض تقديم استقالتك ؟

ميسبي : أرفض .

الوزير : مجلس الوزراء سوف يرغمك على ذلك .

ميسبي : يجب أن تعلم الحكومة أنها تحارب أحسن محام في العالم كله ...

الوزير : حرب لا أمل فيها فأنت أبغض انسان في العالم .

ميسبي : ولا أمل لكم أيضا : فبفضلي أصبحت حكومتكم أبغض حكومة في العالم .

الوزير : (لحظة صمت) .. أنت تذكر أننا كنا طالبين معا .. في جامعة أوكسفورد .

ميسبي : أذكر ذلك ..

الوزير : لا أستطيع أن أفهم أن رجلا في ذكائك وفي علمك يجد مثل هذه المتعة في قطع رقاب الناس .. على كل حال لقد ولدت من أحسن عائلات هذا البلد وهذا وحده يجعلنا قادرين على ضبط النفس .

ميسبي : أعتقد ذلك .

الوزير : ماذا تعني ؟

ميسبي : أمي كانت أميرة ايطالية .. وأبي أحد ملوك الاسلحة الأمريكان .. أليس كذلك ؟ .. أما جدك أنت فكان قائدا شهيرا خسر ما لا يحصى من المعارك .. أما أبوك فكان حاكما لاحدى المستعمرات قمع الكثير من حركات التحرر عند الزنوج .. وأسرتي وأسرتك قد أطاحتا بكثير من الرؤوس .. أما أنا فأطلب الموت لمذنبين كانوا يسمونهم أبطالا ويسمونني جلادا واذا كان نجاحي في مهنتي يلقي ضوءا كريها على أحسن العائلات في بلادنا فمعنى ذلك أنني أعرضها في ضوئها الحقيقي ..

الوزير : أنت تطعننا من الخلف ..

ميسبي : وأنت تطعن العدالة من الخلف ..

الوزير : ان مهمتي كوزير للعدل هي أن أرى ما اذا كانت العدالة ممكنة من الناحية السياسية أو غير ممكنة ..

ميسبي : العدالة لا يمكن تغييرها ..

الوزير : يا عزيزي كل شيء يمكن تغييره في العالم ما عدا الإنسان .. يجب أن تتحقق من ذلك قبل أن تحكم .. فأن تحكم معناه أن تقود سفينة الحكم لا أن تقطع الرؤوس .. والمثل العليا رائعة وانني يجب أن أمسك بما هو ممكن وأن أتخلى عن المثل العليا عندما أخاطب الجماهير .. فالعالم سيء .. ولكن ليس ميئوسا منه .. وانما يصبح ميئوسا منه عندما نقيسه بالقيم المطلقة .. فالعدالة ليست كماشة انما هي فرصة للتوفيق بين وجهات النظر .

ميسبي : العدالة بالنسبة لك هي آلة للرهان تزودك بالمال ..

الوزير : لعلك تذكر أنني كنت شاهد زواجك . أما في اجتماع مجلس الوزراء غدا .. فسأجدني مضطرا إلى التصويت ضدك (ويضع سيجارة على طفاية السجائر) ..

ميسبي : عندي ما أقوله للحكومة ..

الوزير : انتهت المهمة التي كلفني بها رئيس الوزراء .. فلماذا لا نلتقي خارج البيت ؟

(ويخرجان من باب اليمين . الغرفة خالية ومن اليسار يدخل سانت كلود بلحيته البنية الشعر .. وكان في بداية المسرحية حليق اللحية .. ويرتدي جاكتة من الجلد البني ومن الضروري أن يتوهم المتفرجون أن سانت كلود جاء من غرفة انستاسيا التي يقبل

يدها عندما تظهر على المسرح .. أما المرأة التي تبدو على المسرح مرتدية ملابس النوم البيضاء فمن الممكن ان تكون سيدة أخرى غير انستاسيا لأننا نراها من بعيد ..

ولنترك هذا الموضوع الآن مؤقتا .. (يتقدم سان كلود إلى المنضدة يلتقط سيجار وزير العدل ويشمه .. ثم يدخنه ويذهب إلى النافذة في يمين مؤخرة المسرح ويفتحها ويبدي اعجابه بلوحة فينوس ثم يجلس إلى يسار الترابيزة .. عندما يعود ميسسبي من ناحية اليمين) ..

سان كلود: (دون أن يتطلع إليه) مساء الخير يا بول .
(يقف ميسسبي بلا حراك في مدخل الباب)

ميسسبي : (ببطء وبتماسك) أنت ؟

سان كلود: نعم أنا .. عملتها يا بول وأصبحت نائبا عاما شهير تملأ الصحف بأعمالك وتملك بيتا مليئا بالتحف من كل العصور .. وعندك زوجة جميلة ولا شك ..
(ينفث سيجارة)

ميسسبي : وانت ماذا تسمي نفسك الآن ؟

سان كلود: اسمي أحسن وأرق من اسمك . اسمي فريدريك رينيه سانت كلـــود .

ميسسبي : يبدو أنك في حالة لا بأس بها .

سان كلود: نعم وأنا عملتها أيضا وأصبحت .. عقيدا في الجيش الأحمر .. مواطنا فخريا في رومانيا .. عضوا في البرلمان البولندي .. وعضوا في المكتب السياسي .

ميسسبي : كيف دخلت إلى هنا ؟

سان كلود: من النافذة ..

ميسي : سأقفلها ..
(يذهب إلى النافذة ويقفلها) .
ماذا تريد مني ؟

سان كلود: عندما يسافر الإنسان بعيدا فأول شيئا يفضله عندما يعود هو زيارة اصدقائه القدامى ..

ميسي : طبعا أنت عبرت الحدود بشكل غير قانوني ؟

سان كلود: هذا طبيعي لأن من واجبي أن أعيد تنظيم الحزب الشيوعي هنا ..

ميسي : تحت أي اسم .. ؟

سان كلود: حزب الشعب والايمان بالوطن ..

ميسي : وما علاقتي بكل هذا ؟

سان كلود: سوف تبدأ في البحث عن وظيفة جديدة يا عزيزي بول ..

ميسي : (يمشي ببطء في اتجاه الترابيزة) ماذا تقصد ؟

سان كلود: يبدو أن لا مفر من أن تنفذ رغبة رئيس الوزراء ..

ميسي : « يجلس ببطء إلى يمين الترابيزة في مواجهة سانت كلود » اذن لقد كنت تستمع إلى ما دار بيني وبين وزير العدل ؟.

سان كلود: (في دهشة) أبدا ! كل ما هناك أنني رشوت وزير الداخلية وعرفت كل شيء ..

ميسي : مثل هذا الاهتمام من شيوعي يضايقني كثيرا .

سان كلود: ولكنك أصبحت شخصية عالمية رهيبة لدرجة أننا جميعا أصبحنا نهتم بك .. لقد جئت اعرض عليك شيئا .

ميسبي : لا أستطيع أن أتخيل عملا يمكن أن نشترك فيه معا ..

سان كلود: الحزب الشيوعي هنا ليس له زعيم . اخترناك لهذه المهمة .

ميسبي : عرض عجيب ..

سان كلود: لا يوجد مؤهل لشغل هذا المنصب أفضل من أن يكون صاحبه قد حكم بالاعدام على ٣٥٠ مواطنا ..

(ميسبي : يقف ويذهب إلى النافذة إلى اليمين حيث يقف مديرا ظهره للجمهور) ..

ميسبي : فاذا رفضت .. ؟

سان كلود: نهاجم نقطة ضعفك ..

ميسبي : ليست عندي نقطة ضعف فلا أحد يشك في قيمي الأخلاقية .

سان كلود: كلام فارغ . كل انسان فيه نقطة ضعف .. نقطة ضعفك ليست في هجومك على المجتمع ، انها فيك انت .. فأنت تطبق على العالم مقاييس الأخلاق المطلقة وهذا ممكن فقط لأن العالم يقبلك كرجل أخلاق .. ولكن قيمتك تنهار في اللحظة التي تهدد فيها الهالة التي اسمها فضيلتك ..

ميسبي : لا يمكن تبديدها ..

سان كلود: هل أنت متأكد من ذلك ؟

ميسبي : لقد قطعت شوطا طويلا في الطريق القويم ..

(سان كلود ينهض واقفا) .

سان كلود: (بهدوء) أنت نسيت أنني عدت .

ميسبي : (يستدير .. صمت .. ثم يبدو شاحب الوجه حتى الموت) . معك حق . لم أتوقع رؤيتك مرة أخرى ..

سان كلود: لسوء الحظ كان لقاؤنا محتوما فأنت لم تكتسب منصبا رفيعا في المجتمع بأحكام الاعدام فقط ، ولكن أصبح لك اسم آخر هو ميسبي وتدعي أن أجدادك من الأمراء الايطاليين وأنك خريج جامعة أوكسفورد وهبطت على هذا العالم .. فانبهر الناس بضوئها الساطع فلم يجرؤوا على التنقيب في أصلك .

ميسبي : اسمع يا لويس .

سان كلود: يا بول يجب أن تعود إلى الظلام الذي منه خرجت .

ميسبي : أريد أن اتخلص من هذا الظلام ..

سان كلود: ولكنك تحتاج إلى الكثير لكي تتخلص منه ..

ميسبي : يا سافل ..

سان كلود: أنا سعيد بعودتك إلى استخدام اللغة التي تناسبنا يجب ألا تنسى أصولنا النبيلة .. فنحن لم ندفع سوى خمس ليرات لتغيير كل شيء . لقد كانت الحواري حمراء عندما جئنا اليها والفئران قد علمتنا كيف تكون الحياة جلودها مبللة من مياه المجاري .. وتعلمنا من الدود الذي يزحف على أجسادنا أن الزمن يمضي ولا يعود ..

ميسبي : اسكت .

سان كلود: تعال .. تعال ! . فلنجلس معا في مقاعدك الوثيرة . طراز لويس الرابع عشر ..

(يجلس ويقترب ميسبي من الترابيزة) ..

ميسبي : عندما انفصلنا من ثلاثين عاما .. أقسمنا . ألا يرى أحدنا الآخر ..

سان كلود: (يدخن) حصل ..

ميسبي : أخرج أذن ..

سان كلود: بل سأبقى ..

ميسبي : تريد ألا تفي بوعدك ؟ .

سان كلود: طبعا .. فالوفاء بالوعد ترف محرم على الذين لهم أصول مثل أصولنا .. من نحن يا بول ؟ لقد سرقنا الأغطية التي سترت أجسامنا وسرقنا العملات النحاسية لنشتري خبزا لاحشائنا ثم أرغمنا على أن نبيع أنفسنا ضحايا هزيلة للبرجوازية الجشعة التي تعالت أصواتها .. أصوات شهواتها إلى السماء مثل مواء القطط .. وأخيرا وبكبرياء الشبان الرأسماليين استخدمنا أموالنا التي جمعناها بكدنا في ادارة أحد المواخير أنا المالك وأنت البواب ..

(صمت طويل يجلس الميسبي) ..

ميسبي : (يدق بيده على رجله) .. كان لا بد أن نعيش ..

سان كلود: حتى لو شنقنا أنفسنا في أقرب عمود نور فان أحدا لن يعترض.

ميسبي : وأنا لماذا تخلصت من هذه التعاسات التي لا توصف ؟ . أليس ذلك لأني عثرت في ركن رطب باحدى الحانات على نسخة من التوراة تعلمت منها القراءة والكتابة على ضوء مصباح الغاز ؟ .. كدت أموت من البرد .. هل كان من الممكن أن أعيش يوما أطول لو لم تطالعني رؤية الوصايا العشر وتغمرني كأنها بحر من النار يتفجر في ظلماتي حتى أن كل هوان ألقاه يعذبني وكذلك كل جريمة منحطة لها دفعتني نحو هدف هو قراءة القانون المدني في أكسفورد لكي أصبح نائبا عاما وأعيد للحياة تطبيق الوصايا العشر مؤمنا بأن الانسانية يجب أن ترجع إلى الوراء ثلاثة آلاف سنة لكي تواصل تقدمها بعد ذلك ؛

سان كلود: (بشراسة) وأنا ألم تكن عندي رؤية لتطوير هذا العالم الذي يمزقه الجوع والخمر والجريمة وهذا الجحيم الذي تتردد فيه أغاني الأغنياء وصرخات الجائعين المستغلين ؟ . وأنا ألم أجد نسخة من كتاب رأس المال لكارل ماركس في جيب أحد الذين أعدموا ؟ .. ألم أعش تلك الحياة الرهيبة التي أرغمنا عليها من أجل تحقيق الثورة العالمية يوما ما ؟ .. نحن آخر اثنين اخلاقيين في هذا العصر ، فقد أخفينا معالمنا نحن الاثنين .. أنت تنكرت في ملابس جلاد .. وأنا في ملابس جاسوس ..

ميسبي : أبعد يديك عن كتفي ..

سان كلود: آسف ..

ميسبي : واضح انك جئت للتشهير بي ..

سان كلود: هذا اذا لم تكن تفكر بعقل .

ميسبي : اشتغلت عشر سنوات حقيرة في ماخورك مقابل أن تدفع لي مصروفات تعليمي .. فلست مدينا لك بشيء .

سان كلود: هناك شيء آخر لا يشترى بالمال : الحياة . أنت أخذتها وأنا أعطيتها لك .. فقد دللتك على الطريق الرهيب المعوج الذي نقلك من حيوان إلى انسان ثم مضيت فيه حتى نهايته .. والآن جاء دوري لأن أطالبك .. فأنا لم ألتقطك من الحواري بلا ثمن .. والمشكلة هي أن تكون الشيوعية أولا .. تكون وأنت عبقرية صالحة للحزب لا بد من استغلالها إلى أقصى درجة ..

ميسبي : انني أحارب بنفس الضراوة ضد الشرق وضد الغرب ..

سان كلود: ليس عندي أدنى اعتراض على ذلك .. ما دمت ستحطم الشرق ثم الغرب .. وما دمت لا تهاجمهما في وقت واحد فهذه حماقة

كبرى .. فعواطفنا لا تهم .. ولكنها الحقيقة .. ولسوء حظنا التاريخي أن الروس دون كل الشعوب هم الذين آمنوا بالشيوعية على الرغم من أنهم أقل الناس صلاحية لها . وعلينا الآن أن نتغلب على هذه الكارثة ..

ميسبي : طبعا أنت لا تجرؤ على المجاهرة بهذه النظرية ؟

سان كلود: من واجبي ألا انتحر .. وانما أن أشعل ثورة عالمية فالشيوعية هي النظرية التي تعلم الانسان كيف يحكم الارض دون قهر الناس : هكذا فهمتها في الليالي المقدسة لشبابنا .. ولكني لا أستطيع أن أنفذها دون الاستعانة بالقوة ولذلك يجب أن نعتمد على القوة فهي قطع الشطرنج التي نحركها .. يجب أن نعرف ما هي وأن نعرف ما تريد وأن نعرف ما يجب عمله .. أمور ثلاثة صعبة فالعالم ككل أصبح لا أخلاقيا .. بعض الناس يخافون على تجارتهم وغيرهم يخافون قوتهم .. والثورة يجب أن تكون ضد الجميع والغرب قد قام بالحرية والشرق بالعدالة .. وفي الغرب أصبحت المسيحية نكتة ومهزلة وفي الشرق الشيوعية .. وكلا الطرفين قد خان نفسه .. والموقف العالمي مناسب لثورة حقيقية .. ولكن العقل يرغمنا على أن نؤيد الشرق ..

ميسبي : أنت واهم ..

سان كلود: بل حساباتي دقيقة .

ميسبي : القانون وحده هو الذي يستطيع أن يغير العالم ..

سان كلود : هكذا ترى أننا رجعنا الى أيام الشباب الى الأغطية الرطبة تحت الأرض .. القانون .. ذلك الذي تشاجرنا بسببه كثيرا ، كم من الليالي اختلفنا عليه ! . تشاجرنا ونزفنا دماءنا ليطلع علينا الفجر مرهقين .. فكلانا أراد العدالة ، أنت أردت عدالة السماء .. وأنا

أردت عدالة الأرض .. أنت أردت روحا وهمية .. وأنا أردت جسدا حقيقيا ..

ميسبي : لا عدالة بغير الله .

سان كلود: بل عدالة بغير الله.. فلا شيء ينقذ الانسان غير الانسان .. ولكنك قامرت على ورقة أخرى .. على الله .. ولهذا يجب أن نترك هذا العالم .. فاذا كنت تؤمن بالله فالانسان شرير دائما ما دام الخير هو الله وحده.. لماذا تتردد ؟ ان الانسان لا يستطيع أن يطيع قانون الله .. عليه أن يخترع قانونا .. كلانا قد أسال الدماء .. وأنت أعدمت ٢٥٠ مجرما وأنا لا أستطيع أن أحصي ضحاياي .. كلانا مجرم ولذلك يجب أن نجعل للجريمة هدفا .. أنت قتلت باسم الله .. وأنا باسم الشيوعية .. وأنا أحسن منك لأنني أبحث عن شيء في الزمان بينما أنت تبحث عن شيء في الأبدية والعالم لا يحتاج الى الخلاص من الخطيئة بل الى الخلاص من الجوع والقهر .. وليس لهذا العالم أن يعلق آماله في السماء .. وانما يحققها على الأرض .. فالشيوعية هي القانون في صورته الحديثة ..
فلماذا تقوم بالتضحيات في الوقت الذي أقوم فيه انا بعمليات جراحية ؟ لماذا أنت من رجال اللاهوت بينما أنا من العلماء ؟ ألق بربك في النار وبذلك تجد الانسانية ذلك الحلم النشوان لشبابنا ..

ميسبي : الله لا يلقى في النار . انه هو النار .

سان كلود: (صمت) ..تجيء معنا ؟

ميسبي : لا ..

سان كلود: نحن في حاجة الى رأسك كما قلت ..

ميسبي : هذا شيء لم أفهمه ..

سان كلود: ليس غامضا . أردت رأسك كأداة .. والآن أريدها كجزاء فالأوراق التي جعلتك من العائلة الملكية الايطالية قد زورتها أنــا والفلوس التي تعلمت بها خرجت من ماخوري ..

ميسي : وماذا تريد أن تفعل .

سان كلود: ما دمت عاجزا عن ضمك الينا كما نريد .. سآخذك معنا كما أنت جلادا ... فالجماهير يجب أن تضرب بالسياط ومن غير تعاونك الحقيقي فاننا لن ننجح في شيء .. وليس أمامنا غير صراع واحد حقيقي يشد انتباه الجماهير ؟ هو أن نحارب الرجل الذي استصدر ٢٥٠ حكما بالاعدام من بينهم ٢١ شيوعيا .

ميسي : بل كانوا مجرمين عاديين .

سان كلود: ان نقابات العمال تطالب بمحاكمتك فاذا رفضت الحكومة فسوف يضربون عن العمل ..

ميسي : (ببطء) لا أستطيع أن أمنعك ..

سان كلود: لا تستطيع أن تمنعني وأنا لا أستطيع أن أغيرك .. (يفتح النافذة) الى اللقاء . سأختفي من أمامك مرة أخرى فقد كنا أخوين ..(ينظر كل منهما الى الآخر) .. في ليلة شديدة الظلام وكم نادى أحدنا الآخر .. ولكن لم نهتد الى شيء .. لقد كانت الفرصة نادرة ولكن اللحظة خاطفة لقد أتينا بكل شيء معا .. أنت بالذكاء وأنا بالطاقة أنت بالارهاب وأنا بالشعبية .. كلانا مثالي .. كان من الممكن أن نكون صديقين لهما في التاريخ شأن ..

(يتسلل من النافذة عندما نستمع الى النشيد العالمي من التاريخ)..

سان كلود: هل تسمع غناءهم يا صديق شبابي يا أيها الفأر المرتجف ؟. يا من عشت معي في الممرات المظلمة لسنوات العمر الأولى يائسين من

اللامبالاة الانسانية .. متشوقين الى الأخوة ؟ هل تسمع هذا النشيد ؟ هنا فقط يترنمون بهذا النشيد في حماس .. فهذا هو المكان الوحيد للذين يؤمنون فيه بهذا النشيد .. وهذا هو المكان الوحيد الذي يمكن أن تصبح فيه الشيوعية حقيقة .. لا شبحا زائفا .. هنا فقط ولكن ما الذي يمنعها ؟ الهلك .. الهلك .. يا لها من مهزلة .. نصيحتي يا بول ان تذهب الى مستشفى المجانين ..

(يختفي سان كلود .. صمت تدخل انستاسيا من اليسار وقد ارتدت ملابس النوم البيضاء » ..

لم تنم بعد ..

ميسي : اننا في منتصف الليل .. كان من الواجب أن تنامي يا سيدتي .. لا تنسي ما لديك من عمل غدا .. في مستشفى سجن النساء ..

هي : (مرتابة) ..هل كان هنا أحد ؟

ميسي : كنت وحدي ..

هي : ولكن سمعت صوتا ..

(ميسي يذهب الى النافذة ويقفلها ثم يعود الى الغرفة) .

ميسي : كنت أتحدث الى ذكرياتي ..

(قطعة حجر تنفذ من النافذة من ناحية اليسار وتتردد من الخارج هتافات !) ..

هتافات : سفاح .. سفاح الجماهير ..

هي : انها قطعة حجر ..

ميسي : تجلدي سوف تجيء أحجار أخرى حالا ..

هي : ميسي ..

ميسبي : ليس عندي سواك يا ملاك السجون . أنت درعي الوحيد ضد هذا العالم كله ..

(ستار . تضاء الصالة . يقفز الكونت أمام الستار) .

الكونت : سيداتي وسادتي .. اذا طلبت اليكم ألا تنهضوا .. حتى موعد الاستراحة ، على الرغم من أن الصالة قد أضيئت .. اذا طالبت أن تنتظروا حتى ألقي كلمتي .. فلأنه من الضروري أن ألقي بعض الضوء على الحياة السابقة لانستاسيا .. تماما كما أن ظهور سان كلو كان مهما للحياة السابقة للنائب العام .. أنتم تعرفونني .. قد رأيتموني أسبح في الهواء مرتين عبر شجرة السرو وشجرة التفاح..فأنا الكونت بودو .. وقد جئت مرة أخرى الى هذا العالم .. لا شك في ذلك .. وأنا مخمور كما ترون وقد أغرقت هذه المسرحية كلها .. أعترف بذلك أيضا ولا يمكن طردي منها .. أو تجاهلي .. وظهوري على المسرح شيء مضحك .. لأني في غير موضعي .. وأنا شخصياً هكذا .. بل حياتي كلها كذلك .. وعودتي المفاجئة محرجة الى أقصى درجة .. ولكن هنا وفي هذه اللحظة الحرجة في التمثيل .. التي وضعنا فيها المؤلف جميعا .. ممثلين ومتفرجين يجب أن نسأل أنفسنا كيف تورط المؤلف في هذا كله ..؟ هل هو ترك لنفسه أن ينتقل من فكرة الى فكرة دون مقدمة واضحة ..؟ هل لديه خطة سرية ..؟ أنا لا أعتقد أنه قد خلقني بلا مبرر .. في ساعة من ساعات الحب .. دون أن يعرف ما الذي يمكن أن يحدث عندما تصطدم بعض أفكار الناس الجادين .. الذين يندفعون بجرأة وشجاعة وحماس مجنون ورغبة لا ترتوي نحو الكمال من أجل تحقيقها انني أعتقد ذلك .. وأعتقد أيضا أن المؤلف يريد أن يبحث عن جواب لهذا السؤال : هل الروح في أي شكل قادرة على تغيير هذا العالم الموجود ؟ هل المؤلف يريد أن يتأكد : هل هذا العالم المادي يمكن

تطوره ؟.. يريد أن يتحقق من ذلك الشك الذي ساوره في احدى الليالي أثناء وحدة حزينة .. وعلى الرغم من ذلك ، سيداتي سادتي يجب أن أعترف .. انه على الرغم من أنه خلقنا فانه لم يتدخل في مصيرنا .. هكذا خلقني أنا الكونت بودو .. وأنا الشخص الوحيد الذي يحبني من كل قلبه .. لأنني الوحيد في هذه المسرحية الذي أعطيت نفسي لمغامرات الحب هذا الجهاد النبيل الذي عاش في الانسان أو مات فيه .. فانه هو الذي يمد الانسان بأعظم مشاعر الكرامة .. ولكن ربما لهذا السبب وحده .. قد صب على رأسي لعنة هذه الحياة .. ولم يعطني معشوقة مثل معشوقته .. وانما أعطاني انستاسيا .. وهكذا رأينا هذا المؤلف المحب للأساطير والكوميديات. هذا الذي خلقني .. هذا البروستانتي العنيد بخياله المريض .. قد حطمني ليعرف طعم أعماقي .. انه حب استطلاع رهيب .. جردني من وقاري .. لا ليجعلني قديسا .. فالقديسون لا يهمونه .. ولكن لأكون مثله فيلقي بي في هذه المسرحية مقهورا لا قاهرا .. وهو الدور الذي يظهر به الانسان مرة بعد مرة .. كل ذلك لكي يعرف ان كانت رحمة الله في هذا العالم المحدود لا محدودة حقيقة ..؟ هذا هو منتهى أملنا . ولترفع الستار الآن مرة أخرى (يرفع الستار .. يتدلى ستار أحمر عليه رسومات .. ومن تحت الستار نرى انستاسيا والوزير وهما يتعانقان يستمر الكونت في لهجة سمسار) .. وعلى هذا الستار الذي أمامكم نرى ماذا يحدث في ذلك اليوم وتلك الليلة .. وسوف نمضي مسرعين الى ما بعد ذلك وكما نتوقع جميعا لقا ساء وضع النائب العام .. وفي أقصى اليسار كما ترون باعة الصحف ينادون على طبعات جديدة عناوينها الرئيسية تقول : النائب العام يدير ماخورا .. والى اليمين رئيس الوزراء شاحب .. وفي الوسط سان كلود يتحدث الى نقابات العمال .. والى

أسفل ناحية اليسار الجماهير تحمل لافتات تنادي : الاعدام لمن أعدم ٢٥٠ مواطنا . أسفل اليمين .. رجال الشرطة يحرسون بيت النائب العام ليلا .. والطوب يتساقط على فيلا النائب العام .. ويبدو كأنها أزهار تساقطت على سجادة.. أنتم الآن في الصورة.. وعندما ترتفع هذه الستارة سوف نرى الغرفة في الحالة التي تتوقعونها .. فقد نزع عن الجدران كل شيء .. تحطمت المرايا .. وصورة فينوس قد نزع رأسها .. النوافذ تكسرت .. ومن هذا الحطام تدخل أشعة نوفمبر .. نحو الساعة العاشرة صباحا .. سوف أدخل في القاعة التي الى اليمين .. وسأضع منظارا أسود لهذا السبب .. (عندما يحاول وضع المنظار يسقط منه .. فيرى ساقي انستاسيا .. فينهض شاحبا) .. انستانسيا في الناحية الأخرى .. في موقف يضايقني ويدهشها .. هذه هي المرأة التي أحببتها .. وهي الآن في أحضان رجل يجب ألا تحبه .. وفي نفس المكان الذي التقينا فيه منذ ثلاث سنوات مضت ..

(يخرج الكونت .. الستارة ترتفع وخلفها تقف انستاسيا والوزير.. وما يزال يقبلها ونراهما حتى رأسيهما .. يدخل ميسسبي من اليسار ينزل الستار مرة أخرى) ..

ميسسبي : قبل أن ترتفع هذه الستارة المزدحمة المهوشة .. لنرى وراءها صورة كاذبة .. فالمشهد كله بزيء لا يليق .. كنت أتوقع بذكائي الحاد ومنذ وقت طويل أن يحدث كل ذلك .. وقبل أن يحدث هذا. أحب أن أصف المشهد التالي لكم (وراء هذا الستار يتراجع الوزير الى اليمين .. لا نرى الا رجليه تخطوان الى الوراء .. ثم يرتفع الستار .. تقف أنستاسيا بلا حراك بالقرب من الترابيزة وصحيفة في يدها) .. حدث ذلك هذا الصباح .. كنت أعمل طوال الليل .. في ذلك الوقت كنت أحاول استصدار حكم بالاعدام.. وفي الخارج

الجماهير الثائرة .. وفي الصالون زوجتي الخائفة .. ودخلت الغرفة فوجدت ملاك السجون .. وكانت تطالع الطبعة الخاصة من احدى الصحف .. واعترفت لزوجتي أن ما جاء في الصحف حقيقي .. وقلت لها انني لست الابن الطبيعي لأحد ملوك الاسلحة وأميرة ايطالية .. ابعدي هذه الفكرة عن رأسك يا سيدتي .. فهي خرافة .. فأنا ابن غانية لا أعرف اسمها ولا اسم أبي أيضا ..

هي : وأنا .. فكرت لحظة .. ثم ذهبت الى ميسبي وركعت أمامه .. (تركع) ..

ميسبي : وقلت لها انني تأثرت جدا .. سيدتي ألا تحتقريني ؟ ..

هي : وهنا قبلت يده ..
(تقبل يده) ..

ميسبي : وقلت لها في صوت منخفض : سيدتي لقد تحقق الغرض من زواجنا .. وكفرنا عن خطيئتنا .. وقد فشلت كل المحاولات الليلة في أن أطبق الوصايا العشر .. وانتهت أمس كل الضوضاء حول ذلك .. هذه الأحجار المهشمة وصورة فينوس التي تحطم رأسها .. ان فزعنا يحتاج الى كتب وأوهاما أيضا .. فما الذي يخيفنا من أن نعترف بأننا سجينان ؟ .. أنت سجينة مشاعر الحب ، وأنا سجين القيم الأخلاقية ؟ .. وفي استطاعتنا أن نموت كالشهداء. أنا مستعد يا سيدتي ..

هي : نهضت وقبلت جبينه .. (تفعل ذلك .. ويهبط الستار مرة أخرى .. ونرى ساقي الوزير تقتربان من انستانسيا من ناحية اليمين) ..

ميسبي : كان ذلك هو المشهد .. أذهلني كما أذهلكم أيضا .. وصفته لكم رغم أن هناك جمهورا هائلا يحاصرني في المحكمة وبعد دقائق

سوف يحاصرونني في مبنى المحكمة .. وعلى السلالم .. وفي الممرات .. سوف يضربونني في المدخل وتحت تمثال العدالة .. حيث يتركني أنزف دما .. عندما يحدث ذلك .. لن أشعر الا بشيء واحد .. شفتي هذه المرأة .. انهما اكليل غار لا ينزل من على جبيني .. (يخرج من ناحية اليسار .. تظهر انستاسيا والوزير في حالة عناق حار .. كما رأينا من قبل .. أما الغرفة فهي كما وصفها الكونت .. وفي الخارج نسمع النشيد العالمي) ..

هي : طول الليل يقذفون البيت بالطوب .. ويرددون أغانيهم ..

الوزير : كان من الحماقة أن تتصلي بي تليفونيا ..

هي : كدت أجن من الخوف ..

الوزير : من الأفضل أن نتعانق والدنيا تنهار ..

هي : سوف أتحرر من هذا الرجل .. أريد أن أعانقك الى الأبد .. الى الأبـــد ..

الوزير : سوف تفعلين ذلك الى الأبد .. ان الواحد لا يستطيع أن يساعد رجلا كان يعمل بوابا لماخور ..

هي : ولكن الاضرابات سوف تصيبك أنت أيضا ؟ ..
(الوزير يشرع في خلع ملابسه .. يضع قبعته على رأس فينوس .. ويلقي بالبالطو على الكرسي .. الخ) ..

الوزير : ان سقطاتي لا يمكن مهاجمتها .. انها ليست قائمة على قوة الناس .. وانما على تعبهم .. وهذا واضح .. فرئيس الوزراء سوف يخرج .. ووزير الخارجية لن يعود من واشنطون الا بعد ساعة .. وسيجيء متأخرا .. ويجب أن أستغل الدقائق القليلة التي أكون فيها ممثلا للحكومة وسوف يعينني البرلمان رئيسا للحكومة الجديدة ..

هي : ستلقي بزوجي الى الجحيم ؟ ..

الوزير : تريدينه أن يموت ؟ ..

هي : أريد موته ..

الوزير : أنت حيوان .. ولكني أحب الحيوانات .. أنت بلا خطة .. أنت بنت لحظتها .. وكما خنت زوجك ستخونينني أيضا .. فبالنسبة لك ، ما هو كائن أقوى مما كان .. والمستقبل ينتصر على الحاضر .. لا أحد يهملك .. ومن يعتمد عليك ينهار .. والذي يحبك مثلا هو الذي يملكك .. لا يا انستاسيا .. لن أعطي زوجك للجماهير .. سوف أضربه .. أقسى مما تريد كراهيتك سأضعه حيث أضع المجانين .

هي : (التي لم تحقق هدفها) .. أرجوك أن تخرج الآن .. يجب أن تذهب الى البرلمان ..
(يندفع الكونت من ناحية اليمين) ..

الكونت : (في صوت الرعد) .. دعيني يا سيدتي ألق نظرة على محبوبتي ....
(انستاسيا تقف كالمصعوقة والخادمة في ذهول تظهر في المدخل)..

الوزير : (الذي ترك انستاسيا في ضيق) .. ما كان يجب أن أكون هنا اطلاقـــا ..
(يسرع الى الغرفة التي الى اليسار)

الكونت : (يذهب الى انستاسيا ويقبل يدها) .. أرجوك أن تغفري لي هذا الطيش وأن أجيء الى غرفتك الخاصة .. واغفري لي أنني جئت بهذه الملابس الممزقة .. فآخر أمل سوف يتحطم يا سيدتي انني أطلب رحمتك بهذا الانسان المسكين ..

هي : (تصرخ) .. بودو ..

الكونت : (يقف جامدا لحظة .. ثم يعاود البكاء) انستاسيا ..
(يترنح ويسقط شاحبا على المقعد الى اليمين) ..

الكونت : فنجان قهوة من فضلك ..

هي : (الى الخادمة) .. قهوة حالا ..

الخادمة : (تتجه الى اليمين) .. يا الهي .. انه الكونت ..

الكونت : (شاحبا) سامحيني .. يا انستاسيا .. لم أعرفك بوضوح فقد أصبحت قصير النظر بسبب الشمس الباهرة في هذه البلاد الاستوائية .

هي : شديدة الأسف ..

الكونت : لا أهمية لذلك .. (ينهض) .. أنت حرة الآن ؟ ..

هي : نعم ..

الكونت : أصدر حكماً بالبراءة عليك ؟

هي : لم أذهب الى السجن ..

الكونت : ولكن منذ خمس سنوات أعطيتك قوالب السم لتقتلي كلبك .. ولكنك قتلت زوجك ..

هي : ولكني لم أعتقل بعد ..

الكونت : (مندهشا) .. بسببك تركت أوروبا .. وأقمت في أعماق غابات بورينو ..

هي : هربك لم يكن له أي معنى ..

الكونت : ألم يكن هناك أدنى خوف على رخصتي الطبية ؟ ..

هي : بل لم تتخذ ضدك أية اجراءات ..

الكونت : اذا لم تحضر القهوة حالا فسأفقد عقلي ..

هي : (في شلك) تريد أن ترى النائب العام ؟

الكونت : جئت الى هذه المدينة هربا من حرارة محمومة في المناطق الاستوائية في سفينة قديمة .. ظننت أنهم حكموا عليك بالأشغال المؤبدة .. قدرت أن أسلم نفسي بشرط أن أراك مرة أخرى .. جئت الى هذا البيت لأحصل على اذن بزيارتك في السجن (يتطلع اليها وعندما ينظر اليها عن قرب تبدو كأنها فينوس المحطمة ، بعد أن رفعت عنها قبعة الوزير) .

هي : بودو

الكونت : كان خطاب ميسبي غير موفق عندما استمعت اليه ، وكذلك الحديقة والبيت والباب ولوحات بيكاسو التي في الصالة ، ولكن ضعف نظري الشديد ، والهلوسة التي أعانيها منذ اصابتي بالحمى الصفراء جعلتني أتصور دائما انني أهذي . انني أعرف الآن أنه لا يمكن الاعتماد على حواسي . لقد عانيت كل الأمراض الاستوائية. فالكوليرا جعلت ذاكرتي بليدة . والملاريا أفقدتني القدرة على الاتجاه . ثم جاءت الخادمة . كانت لوكريسيا . ولم أعد أتشكك في شيء ، وان كان من الممكن أن يحدث أي شيء في خمس سنوات ومن الطبيعي أن تبحث لها عن عمل . على كل حال انها لم تعرفني .. ربما كان ذلك بسبب منظاري الأسود الذي أستخدمه منذ اصابتي برمد في جنوب بورينو قررت العدول عن الدخول مرتين . ثم دخلت هذه الغرفة ، وجئت وانحنيت واقتربت وقبلت يـدا ووقفت أمامك ..

هي : فعلا وقفت أمامي .
(ينظر اليها في يأس)

الكونت : ان المناطق الاستوائية قد أثرت في جدا يا انستاسيا . أعرف انني أستطيع أن أرتكب أخطاء رهيبة . ولذلك قلت لنفسي بصراحة تامة : هل كل هذا الهذيان بسبب عقلي المريض ؟ أم أنك أصبحت زوجة النائب العام ؟

هي : نعم أنا زوجته .

الكونت : (يصرخ) صحيح اذن !

هي : (في ضيق) بودو .

(تمسكه . يسقط منها على الأرض بلا وعي ..
تدق الجرس الفضي . تندفع الخادمة من ناحية اليمين) .

هي : أرجوك أحضري القهوة ، ان ضيفنا قد أغمي عليه .

الخادمة : يا الهي !
(تنطلق بسرعة ، يدخل الوزير من ناحية اليسار)

الوزير : يجب ألا أضيع دقيقة واحدة . من الضروري أن أذهب الى مقر الحكومــة .

هي : ضيفي سوف يفيق في أية لحظة !

الوزير : أنا أعرف أن كارثة سوف تقع .. اذا ألقى وزير الخارجية كلمته قبلي فسيصبح رئيسا للوزراء .

الكونت : (يفتح عينيه ببطء) سامحيني فأنا لا أستطيع لظروفي الصحية أن أحتمل هذه الاثارة المستمرة (يندفع الوزير الى اليسار مرة أخرى أما انستاسيا فتلقي وراءه بقبعته) .

الكونت : لو كنت أستطيع أن أفهم جزءا يسيرا مما يجري حولي لكنت أحسن حالا . انني لا أستطيع أن أفهم مطلقا زواجك من النائب العام ..

(ينهض ببطء ثم يجلس على المقعد ويمسح العرق عن وجهه عندما تدخل الخادمة من اليمين) ..

الخادمة : القهوة .

(تضع القهوة على الترابيزة وتخرج . ينهض الكونت . ومن اليسار يطل الوزير برأسه من الباب ولكنه يرجع عندما يرى الكونت . انستاسيا تصب القهوة) .

الكونت : (يمد يده الى القهوة ويظل واقفا) لا يستطيع النائب العام أن يتزوج امرأة معروف أنها قتلت زوجها بالسم .

هي : تزوجني لأنه قتل زوجته بالسم .

الكونت : (يقف متحجرا وفنجان القهوة في يده) قتلها ..

هي : نعم بالسم الذي صادره عندك .

الكونت : ووضعه في القهوة مثلك ؟

هي : مثلي تماما ، تطبيقا للوصايا العشر التي يؤمن بها .

الكونت : الوصايا العشر !

هي : مفروض أن زواجنا عقوبة على جريمتنا ..

الكونت : عقوبة على جريمة ؟

هي : (تترنح بحرارة) أرجو ألا يغمى عليك مرة أخرى .

الكونت : لا لن يغمى علي . ان الحقيقة قد صدمتني وحجرتني . (يضع فنجان القهوة على المنضدة)

هي : (في قلق) ألا تشعر بتحسن ؟

الكونت : قليلا من البراندي من فضلك .

هي : القهوة أحسن لك .

الكونت : طبعا أنت لا تتوقعين أن أشرب مزيدا من القهوة في هذا البيت ؟

(يعاود الجلوس وتذهب انستاسيا الى دولاب في الحائط وتحضر زجاجة كونياك وكأساً . تملأ الكأس وتجلس الى اليسار)

لقد أعطيتك السم مؤمنا بأنك في حاجة اليه لتقتلي كلبك . وهربت الى المناطق الاستوائية في حالة لا توصف من اليأس وهناك كفرت عن خطيئتك بكثير من أعمال البر بين صيادي الملايو . وأنكرتك يا من أحببت منذ البداية لكي أقدس هذه العلاقة بالتضحية . وفي نفس الوقت تزوجت أنت رجلا جريمته أضعاف أضعاف جريمتي وتعيشين معه في هذه المنطقة المعتدلة من العالم وفي أحسن وضع اجتماعي ممكن ودون أن يمسك القانون ..

(الوزير يعبر المسرح من اليسار ويخرج من اليمين)

الوزير : يجب أن أذهب الى البرلمان والا فلن أكون رئيسا للوزراء .

الكونت : (مذهولا) من هذا ؟

هي : وزير العدل .

الكونت : (منزعجا) وما الذي يفعله وزير العدل في بيتك ؟

هي : حياتي كلها جحيم .

الكونت : لماذا ؟ هل تحطمت حياتك كلها مثلي بسبب امرأة ؟ هل تخليت عن عمل عظيم بلا مبرر ، وهربت الى تلك الأعماق التعيسة في بورينو عدت بلا سبب أيضا ؟ هل أصابتك الكوليرا وضربة الشمس والتيفوس والدوسنتاريا والحمى الصفراء ومرض النوم والأوجاع المزمنة للكبد ؟ .

هي : وأنت ؟ هل أرغمت على أن تشهد حكم الاعدام كل يوم جمعة ؟ هل كان من واجبك أن تزور المسجونين الذين قرر زوجك اعدامهم والذين يلعنونه أينما رأيتهم ؟ هل كان عليك أن تمضي الساعات واحدة بعد أخرى مع زوج لا تحبه.زوج حكم عليك بالاعدام دون أن ينفذ حكمه ؟ هل كان عليك أن تنفذ أكثر القوانين تعقيدا وأكثر المبادىء سخفا لمجرد أنها جزء من الوصايا العشر ؟ ألا ترى أننا نحن الاثنين قد قاسينا الأمرين ، أنت جسميا وأنا عقليا ، كان عليك أن تهرب وكان علي أن أبقى هنا ؟

(من اليمين يدخل ثلاثة من رجال الدين: أحدهم بروتستانتي والثاني كاثوليكي والثالث يهودي وينحنون بينما تنهض انستاسيا بوقار . أما الكونت فقد زالت دهشته ويفعل مثلها) .

الأول : بالنيابة عن مجلس الكنائس ..

الثاني : وعن الكاتدرائية ..

الثالث : وعن جماعاتنا الدينية ..

الأول : تشرفنا بالمجيء ..

الثاني : الى السيدة المحبوبة ..

الثالث : النبيلة ..

الأول : لنشكرك في هذه الساعة الخطيرة ..

الثاني والثالث : لنشكرك ..

الأول : لما بذلت ..

الثلاثة معا : من جهد غير عادي ..

الأول : في مساعدة المسجونين ..

الثاني : بروحك الطيبة ..

الثالث : وأخلاقك النبيلة ..

الأول : لن ننسى مساعدتك لنزلاء سجننا فقد فعلت ذلك بأخوة واضحة وفي هذه اللحظة الحرجة ليهبك الله .

الثاني والثالث : السلوان ..

الأول : والشجاعة ..

الثلاثة معا : وراحة البال ..

الأول : ونحن لا نشكرك فقط بل نتمنى ..

الثاني والثالث : نتمنى ..

الأول : منك أيتها السيدة الكريمة ..

الثاني : المحبوبة ..

الثالث : النبيلة ..

الأول : أن تستمري في مساندة جمعية مساعدة المسجونين ونشكرك ونضع أملنا فيك وثقتنا أيضا ..

الثاني والثالث : أملنا وثقتنا ..

الأول : وسوف يكون من أعز أمانينا أن نعاونك ما استطعنا الى ذلك سبيلا ..

(ينحنون وكذلك انستاسيا والكونت الذي لم يعد يفهم شيئا) ..
(ويخرج الثلاثة من ناحية اليمين بينما تجلس هي .
الكونت يضع رأسه بين يديه) أظن هذا هو الاسقف ينسن ؟

هي : يسمونني ملاك السجون ..

الكونت : (في يأس عندما يغوص في المقعد) لقد طردوني من مجلس الكنيسة ..

هي : (برقة) ألا ترى أنك الوحيد الذي يستطيع انقاذي ؟

الكونت : (مندهشا) وهل أنت في خطر ؟

هي : ان زوجي بعد أن يطردوه من وظيفته كنائب عام يريد أن يسلم نفسه للبوليس وأنا معه لنعترف بجريمتنا .

الكونت : (في ضيق) هل هذا معقول ؟

هي : الليلة بالذات .

الكونت : (شاحبا) ماذا ستفعلين ؟

هي : (بحذر) أرفض أن يلقيني أحد في غياهب السجون . أرفض مطلقا ، هناك طريق واحد لانقاذ حبنا . اهرب معي الى شيلي انه البلد الوحيد الذي لا يرد مجرما ثم انك مليونير ثم نستقل الطائرة معا التي تسافر في الساعة العاشرة وقد عرفت خط سيرها .. لقد انتظرتك خمس سنوات والآن أنت هنا . سنكون سعداء في شيلي ..

الكونت : (ينهض ببطء) لا نستطيع أن نهرب . بعد أن فقدت كل ثروتي ..

هي : (تنهض شاحبة) ماذا تقول ؟

الكونت : المناطق الاستوائية دمرتني تماما ماليا وصحيا .

هي : والقلعة التي كنت تملكها ؟

الكونت : حولتها الى مصنع للعقاقير الطبية ..

هي : والقصر القديم ؟ ..

الكونت : بعته في المزاد ..

هي : والقلعة التي على بحيرة جنيف ؟ .

الكونت : تنازلت عنها ...

هي : والمستشفى الذي أقمته في المناطق الاستوائية ؟ .

الكونت : هدمته .. فالطب البدائي أثبت انه أحسن .. حاولت أن أساعد البشرية بالحب .. والبر .. فأصبحت شحاذا . لا أملك الا هذه الملابس الممزقة.. هذه الجاكيت الباهتة وهذا البلوفر الذي صنعته احدى الراهبات وهذا البنطلون المهلهل وهذا الحذاء البالي .. هذا كل ما أملكه ..

هي : ولكنك ما تزال تملك مستشفى للفقراء هنا . نحن نحتاج الى مال كثير ففي استطاعتك أن تمارس الطب وأنا أستطيع أن أعطي دروسا في الموسيقى .

الكونت : قبل أن أغادر هذه البلاد أهديت المستشفى لجمعية منع المسكرات ..

هي : (وقد انهارت في مقعدها) وأنا أرغمني زوجي على أن أهب كل ما أملك لجمعية الساقطات .

الكونت : (منزعجا) لقد أفلسنا الى الأبد ..
(ويجلس في مقعده)

هي : ضعنا

الكونت : (في خجل) لم نضع وكل ما نحتاج اليه هو أن نقول الحقيقة .

هي : (وقد فوجئت) ماذا تقصد ؟

الكونت : هل اعترفت لزوجك ؟

هي : (مرتابة) اعترفت ..

الكونت : بأنك عشيقتي ؟

هي : (ببطء) هل تريد أن نخبره بذلك ؟

الكونت : (بيقين) يجب . لقد كنت دائما حريصا على الصدق

هي : مستحيل !

الكونت : في الليلة السابقة على وفاة زوجك فرانسوا في سريرك .

هي : هل أفهم من ذلك أنه تطبيقا لمبادئك الأخلاقية الصارمة وبعد مضي خمس سنوات تريد أن تقول لزوجي أنني كنت عشيقتك ..

الكونت : لا بد .

هي : شيء مضحك .

الكونت : كل ما ألمسه مضحك ! في شبابي عندما كنت أقرأ كتب المسيحيين العظماء تمنيت أن أكون مثلهم فحاربت الفقر وذهبت الى الوثنيين ومرضت أضعاف ما مرض القديسون . ولكن الذي فعلت مهما يكن مخيفا ومهما يحدث لي فانه ينقلب في النهاية الى شيء مضحك .. حتى حبي لك وهو آخر ما تبقى لي قد أصبح عبثا ولكنه مع ذلك حبنا ، ويجب أن نحتمل ما فيه من سخف .

هي : انها أخلاقك المهذبة دائما التي تجلب علينا المصائب . وهذا ما حدث في لوزان فأنت هناك رفضت أن تتزوجني الا بعد أن تنتهي من امتحاناتك . فوقعت في أحضان رجل برتبة عقيد .. حاولت اغراءك رفضت .. قتلت زوجي لأصبح زوجتك . فهربت أنت الى المناطق الاستوائية . والآن تريد أن نعترف بحبنا لنفس الرجل الذي قتل زوجته الأولى عقابا على خيانتها . وظللت خمس سنوات

أخفي هذه الحقيقة لأنني أعلم علم اليقين أنه لو عرفها لقتلني . لقد جعلت من نفسي ملاكا للسجون .. يتحدث عنها كل قسيس بمنتهى الاحترام . والآن تجيء أنت لتفتح عينَي زوجي في لحظة شديدة الحرج من الجنون ، تريد أن تطلعه على الحقيقة ؟

الكونت : الحقيقة دائما هي الجنون . يجب أن نصرخ بها . سأصرخ بها في هذه الغرفة في هذا العالم الذي أسقطته خطايانا . هل تريدين أن تكذبي وأن تستمري في الكذب ؟ لا ينقذ حبنا الا معجزة .يجب أن نقول الحقيقة اذا أردنا أن نؤمن بهذه المعجزة ..

هي : (في دهشة) أنت تؤمن بالمعجزة ؟ .

الكونت : حبنا يحتاج الى معجزة .

هي : سخف !

الكونت : هذا هو المعنى الوحيد الذي تبقى لنا ...

(يشعل سيجارة) سأطلع زوجك على الحقيقة فتحترق تعاستنا وتصبح رمادا ويرتفع حبنا على شكل سحابة بيضاء ..

(يطفىء سيجارته) متى يعود زوجك ؟

هي : لا أعرف ..

الكونت : سأنتظر بين هذا الأثاث وهذه اللوحات حتى يعود .

(صمت .. شاحبا) انستاسيا

هي : ماذا تريد ؟

الكونت : هل تحبينني ؟

هي : أحبك .

الكونت : اذن تعالي وقبليني .

(تتجه اليه ببطء وتقبله)

الكونت : الآن عرفت انك ستحبينني دائما ، اؤمن بحبك ايماني بالمعجزة التي سوف تنقذنا ..

هي : (بحرارة) هيا بنا نهرب بلا تفكير ..

الكونت : لا ، سأنتظر .. سأنتظر المعجزة .

(ستار)

القسم الثاني

(نفس الغرفة . تربيزة القهوة . وقد تغطت بزجاجات البراندي . يقف الكونت . وفي مؤخرة المسرح إلى اليسار تقف انستاسيا)

هي : الضباب يعود مرة أخرى .

الكونت : وكذلك الجماهير .

هي : الضباب يجيء في كل ليلة من ليالي نوفمبر .

الكونت : تربيزة وكرسيان طراز لويس الرابع عشر ولوحة طراز لويس الخامس عشر ، بل لويس السادس عشر وكنيسة طراز نابليون . كرهت هذا كله في لوزان . أكره كل أثاث .

هي : (على الرغم من عدم وجود أي صوت) الكاتدرائية تدق الثامنة .

الكونت : عشر ساعات .. انتظرت عشر ساعات .

هي : رصاص .. رصاص في كل مكان .

الكونت : وهذا الغناء طول الوقت . نفس الاغاني التي يرددها الناس عندما ينتهي العالم .

هي : عز الصيف في شيلي الآن . وفي الليل يظهر الصليب في السماء .

الكونت : الحقيقة هي الصليب . سأقول الحقيقة .

(يجلس على المقعد من جديد) ترابيزة ومقاعد لويس الرابع عشر والسادس عشر ونابليون .

هي : هل تعتقد أن الطائرة يمكن أن تتحرك في هذا الجو السيء .

الكونت : تتحرك في كل جو هذه الايام . حتى لو تحطمت . الحقيقة . لا بد أن أقول الحقيقة .

هي : أنت شربت أكثر من خمس زجاجات براندي .

الكونت : (يتكلم فجأة بغلظة) هل يمكن لأي انسان أن يمضي احدى عشرة ساعة بعد العذاب بأسلوب آخر ؟ الفنان رامبرانت من ١٦٠٦ — ١٦٦٠ منظر البرج للفنان ١٥٨٩ — ١٦٤٥ الطواحين القديمة .

(الاثنان جامدان عندما يدخل سان كلود عن النافذة إلى اليسار)

سان كلود: بينما يقف هذان الاثنان، الرجل والمرأة ينظران في هذه الغرفة، فانني سان كلود ، أعيدي صديقي إلى الحواري التي انتشلته منها .

(يظهر وراءه رجال يحملون الاعلام الحمراء)

وبعد ذلك يسحبون النائب العام من المحكمة إلى الجسر في اتجاه تمثال كولمبوس على الميناء ، ثم إلى الحدائق يضربونه هناك وبحركة صغيرة أيضا من يدي يختفي الرجال والجماهير تطلق سراحه ..

(يختفي سان كلود . يظهر الوزير في النافذة إلى اليمين)

الوزير : أنا ، من ناحية أخرى قد اختاروني رئيسا للوزراء ... الوقت ينذر بكارثة . الدول الاجنبية تمسك أنفاسها أوثانت يقرأ الصحف باهتمام ، جروميكو يفرك يديه ... أسعار البورصة تهبط .

الاشاعات تنطلق في كل اتجاه ولكن الموقف متاح لمن يريد مزيدا من السلطة . (تصفيق جماهير لا نراها) .

الوزير : وأنا أتمدد على الكنبة في مكتبي الجديد ، يكون رئيس الوزراء السابق في احدى المصحات . ثم امزق صورة العميل الذي هربه المكتب للسياسي الشيوعي والقي بالصورة في النار .. (يمزق الصورة ويلقي بها في النار) أحمق . ان ثورة ضد شخص لا تخيف . أنت تضحي بنفسك ، ويظل هذا الكلب الذي اسمه المجتمع لا يتحطم .. هذه قاعدة مجربة .. هذا الوحش الذي اسمه المجتمع لا يمكن تحطيمه .. وإذا راهنا بأموالنا لصالح هذا الوحش فسنبقى في القمة .. (يصفق) ولكن من المهم ألا نتدخل بسرعة .. يجب أن نستفيد بسرعة من هذا الموقف المهلهل .. الذي خلقته الثورة .. ما الذي ستدفعه أمريكا لنا اذا اخمدنا الثورة . ؟ كان يعتقد أنها خطرة !! (يصفق) الجماهير تحب سفك الدماء ، ... والآمال العريضة ، والتخريب الجريء .. ولكن بعد نقطة معينة تبلغها الثورة ، فان مزاج الجماهير يتغير .. ففي أول الأمر ، يشكلهم الطمع في المزيد ، والآن قد يتوقفون بسبب خوفهم أن يفقدوا أكثر .. وفي هذه اللحظة التي يجب أن يتم فيها كل شيء بدقة ، أمامي فرصة رائعة لكي أبدو للناس على أنني المنقذ الوحيد .. (يصفق) يجب أن نستفيد من ذلك .. فما يزال أمامنا ما هو أحسن .. أقسم بالماء البارد .. ياجو ، مزيدا من الويسكي .. (يدخل خادم ومعه كأس) .. وسوف أظل في الوقت الحاضر في المؤخرة . منذ الآن سأجعل الناس يثور بعضهم على بعض سوف أجعل الجماهير تتهجم بأيد مرفوعة على هذا النائب التعيس الذي يتخبط الآن في جدران حديقته قذرا داميا .. وهو الآن يرقد تحت شجرة أعتقد انها شجرة تفاح سوف يكون الموقف أسوأ اذا

عثروا عليك اهرب يا عزيزي الأرنب اهرب .. ان أحدا مهما تبلغ عبقريته لا يستطيع أن يتنبأ بما سيحدث ..

(يشرب كأسه ويلقي بها ويخرج وينطلق عيار ناري من مكان قريب) ..

الكونت : هل ترين شيئا ؟ ..

هي : (تنظر إلى الخارج) .. هناك شخص نائم تحت شجرة التفاح .

الكونت : (ينهض) .. هل هو زوجك . ؟

هي : لقد نهض ويمشي في اتجاه الشرفة ..

الكونت : (بفزع) سأطلعه على الحقيقة .

هي : (تتراجع عن النافذة) انهم يطلقون الانوار الكاشفة على الحديقة .. ويرددون أغانيهم ..

الكونت : نفس الأغاني طول الوقت نفس الأغاني التي يرددها الناس عندما ينتهي العالم ..

هي : انه يفتح الباب الخارجي ..

(ينهض الكونت إلى يسار الترابيزة .. يتساند على نفسه وينظر مأخوذا إلى باب اليمين) ..

الكونت : هل تحبينني .. ؟

هي : انه قادم ..

الكونت : ستحدث معجزة .. سأخبره بالحقيقة ونتحرر بعدها .. (يفتح باب إلى اليمين) ..

هي : (بهدوء) زوجي ..

(يقف ميسسي .. ملابسه ممزقة ووجهه ملطخ بالدم)

ميسسي : مرحبا بك في وطنك يا كونت .

مي : ميسسي ..

(وعندما توشك أن تندفع اليه .. يشير اليها بأن تبقى في مكانها) ..

ميسسي : يجب ألا ننسى ضيفنا يا عزيزتي .. ان أفضل ما نتحلى به هــو الهدوء الذي لا يتزعزع في العالم الذي لا يكف عن التغيير . (ينحني) .. كان ذلك في شهر مايو من خمس سنوات يا كونت عندما زرتك في غرفتك في المستشفى .. انت تذكر ما دار بيننا من حوار وقد جلسنا على أريكة تحت لوحة تعيسة لرفائيل .. قد علمت أخيراً أنك هربت إلى بلاد استوائية . هل لي أن أسألك عن سبب عودتك .. لقد جئت في أحرج اللحظات لي ولزوجتي ..

الكونت : (ينحني) .. سامحني اذا كنت قد أضطررت لزيارتك في هذه الساعة المتأخرة فعندي مسألة عاجلة ..

ميسسي : هل جئت تسلم نفسك . ؟ وما دمت أنا وزوجتي بسبيل أن نفعل ذلك فلم تعد هناك عقبة تحول بينك وبين أن تفعل مثلنا .. (الكونت يتماسك وينهض) ..

الكونت : يا سيادة النائب العام .. لقد أرغمتني منذ خمس سنوات على أن أترك هذه البلاد .. لقد كانت سنوات عصيبة لجميع الأطراف ولن أتحدث عنها الآن .. ما دمت لم أحضر للمناقشة معك .. أنت تزوجت السيدة التي أعطيتها السم ، وكان ذلك صدمة لي .. صدمة أليمة ولا شك.. ولكنك أردت أحياء الوصايا العشر ... ولا يسعني إلا أن أنحني لهذا الحب العظيم للعدالة،انها فكرة رائعة.. أنحني لك احتراما (ينحني) .. وباعتباري ارستقراطيا قد حارب

أجداده في معارك كثيرة وفي الحروب الصليبية .. فأنني استنكر هذه الأصوات العدائية التي تتردد أصواتها في الحجرة .. أما وقد عدت من المناطق الاستوائية التي خيبت أملي فانني أقف أمامك يا سيادة النائب العام محطما ويجب أن أعترف لك بذلك ، محطما بكل معنى .. وأنا لا أشكو وأنت النائب العام .. كما هو واضح من جروحك وكدماتك قد تحطمت .. انه نصيب كل منا أن يتحطم في هذا القرن .. أن يتحطم تماما فلم يعد الامر بيدنا .. فالتاريخ قد الغانا .. أنت بارادتك الحديدية التي لا تتعب قد أرتفعت من أنقاض هذه المدينة الكبيرة وأنا ابن الارستقراطية . والجماهير الآن تتغنى بمصيرك وسوف تسخر من مصيري أيضا .. وليس أمامنا غير شيء واحد نفعله في هذا العالم المضطرب والذي سيزداد اضطراباً، ذلك هو أن نقول الحقيقة .. الحقيقة المؤلمة .. يجب أن نقف إلى جوارها بكل ما أوتينا من شجاعة ...

(يسقط في مقعده مخفيا رأسه بيديه . يتقدم ميسبي .. ويدق الجرس تدخل الخادمة من اليسار ..)

ميسبي : هاتي اناء من الماء البارد يا لوكرسيا ..

(الخادمة تخرج) ...

هي : (ببرود) انه مخمور ..

ميسبي : سيفيق ويكمل خطبته ..

هي : شرب خمس زجاجات من البراندي منذ الصباح ..

(تدخل الخادمة ومعها الماء)

ميسسي : اعطني الماء .

الخادمة : الماء يا سيدي الكونت ..

ميسسي : (للخادمة) يمكنك أن تخرجي .

(الخادمة تخرج من اليمين)

الكونت : (ببطء) لا تؤاخذني. انه الانتظار الطويل .. أوصلني إلى هذه الحال ..

ميسسي : قل ما الذي تريد أن تخبرني به ؟

الكونت : (يقف) يا سيادة النائب العام .. أريد أن أقول لك الحقيقة ان زوجتك وأنا .. اننا نحن الاثنين .. انني أحب زوجتك ...

(صوت مدافع رشاشة .. الرصاص يصيب النوافذ) ..

ميسسي : لنقف إلى جانب الحائط ..

الكونت : الشيوعيون ..

(مزيد من الرصاص . الثلاثة يلتصقون بالحائط .. ميسسي إلى اليمين .. انستاسيا والكونت إلى اليسار .. طلقات الرصاص . وفي النافذة إلى اليسار يقف سان كلود) .

سان كلود: لقد التصقوا بالحائط .. التصقوا بورق الحائط .. سوف أحطم أثاث لويس الرابع عشر .. والخامس عشر .. والسادس عشر .. وثريات نابليون والمرايا القديمة والفازات .. وما تبقى من فينوس ولوحات حائطية . سوف أحطم كل شيء .. سوف أجعل العالم حريقا تستدفيء به مملكته عندما يجيء !!

(يختفي .. مزيد من الرصاص) ..

ميسسي : (بحدة) اذهبي إلى غرفتك يا سيدتي ففيها أمان لك .

هي : (تدخل من الباب الذي إلى اليسار)

ميسبي : (يرفع صوته أعلى من طلقات الرصاص) .. لنقف في منتصف الغرفة ومهما تكن هذه النيران فانه يؤسفني أن أطلب منك أن تزحف على رجليك يا كونت ..

الكونت : انني أزحف يا سيادة النائب العام ..

(يزحفان إلى منتصف المسرح ، مزيد من الرصاص . ينبطحان على الأرض) ..

ميسبي : هل جرحت ..

الكونت : جرح سطحي ..

(يدخلان تحت ترابيزة القهوة) ..

ميسبي : أنت اعترفت أخيرا يا كونت .. وباعتباري زوجا مضطر أن أتوجه إليك ببضعة أسئلة .

الكونت : تحت أمرك ..

ميسبي : ان مصيرك ليس خاليا من بعض العظمة رغم أن شخصيتك مريبة ورغم أنك سليل أعرق العائلات وأكثرها نبلا ورغم أنني أراك في أسمال بالية .. هل لي .. أنْ أسألك لماذا تركت القلعة وذهبت إلى هذا العالم المجهول .. ؟

الكونت : لأني حزين على الانسانية ..

(مزيد من الرصاص .. ينبطحان من جديد) ..

ميسبي : هل أحببت الجميع ؟

الكونت : الجميع .

ميسبي : بما فيهم من قذارة وطمع .. ؟

الكونت : بكل خطاياهم ..

(رصاص .. ينبطحان)

ميسبي : أنت مسيحي ؟

الكونت : نعم ...

ميسبي : ما الذي بقي من حبك للانسانية يا كونت .. ؟

الكونت : حبي لزوجتك يا سيادة النائب العام .. وتعتقد ان الذي بينكما هو الصدق وليس الخوف ؟

ميسبي : اعتقادي بالقانون .

الكونت : يا أيها الابله الذي سوف أحطم عظامه لا بتمثال من طين بل القي في وجهه بالحقيقة ! كيف تحب امرأة بسبب ما تعمله ألا تعرف أن أعمال الانسان كاذبة .. وما أتفه حبك .. ما أعمى قانونك ! انني لا أحب زوجتك لأنها امرأة .. وانما لأنها تعيش ، لا باعتبارها امرأة قد تزوجت ولكن باعتبارها امرأة قد ضاعت ..

ميسبي : (مندهشا) ماذا تعني ؟

الكونت : يا سيدي ..

ميسبي : هل لي أن أطلب منك توضيحا ؟

الكونت : يا سيدي النائب العام .. من واجبي أن أخبرك .. ان زوجتك كانت عشيقتي عندما كانت لا تزال زوجة لرجلها الأول .. (صمت مميت .. وتسمع أوامر من الخارج وأقدام خيل وصفافير الجماهير)

ميسبي : الثورة أخمدت والحكومة انتصرت انهض يا كونت ..

الكونت : بكل تأكيد ..
(ينهض ميسسي وكذلك الكونت)

ميسسي : (بهدوء) أفهم الان أن زوجتي قتلت بالسم صاحب أعظم مصنع لسكر البنجر بسبب حبها لك ؟

الكونت : هذا هو السبب الحقيقي لوفاته ..

ميسسي : افتح باب غرفة زوجتي يا كونت ..
(الكونت يفتح الباب الذي إلى اليسار)

الكونت : (مرتابا) هل في نيتك أن تسأل زوجتك ..

ميسسي : أرى أن هذا هو الحل الطبيعي .. أنت اتهمت بالخيانة ولا بد لي من التحقيق في هذه التهمة .. ولكن يجب أن نوضح شيئا ، ان جواب زوجتي سوف (يسحق) واحدا منا .. فأحدنا سوف يفتضح أمره أمام الآخر فأكون أنا مغفلا شريرا وتكون أنت منحرفا سكيرا يدفعه الهذيان إلى أن يتخيل أن أخلاقه حقيقية ..

الكونت : تعجبني نظرتك الموضوعية للأمور ..

ميسسي : انستاسيا .
(تبدو انستاسيا في الباب إلى اليسار وتتقدم ببطء إلى منتصف الغرفة وتتوقف عند ترابيزة القهوة) ..

هي : ما الذي تريده مني ؟

ميسسي : الكونت يريد أن يتوجه اليك بسؤال يا سيدتي ، هل تقسمين على قول الحق ؟

هي : أقسم ..

ميسسي : بالله .. ؟

هي : أقسم بالله ..

ميسي : اذن أسأل زوجتي يا سيدي ..

الكونت : عندي سؤال واحد لك يا انستاسيا

هي : اسأل ..

الكونت : هل تحبينني ؟

هي : لا ..

(الكونت يتصلب في مكانه) ..

الكونت : (بعد لحظة) .. لا يمكن أن يكون هذا رأيك يا انستاسيا !

هي : لا أحبك ..

الكونت : ليس صحيحا !

هي : أنا أقسمت بالله أن أقول الحق ..

الكونت : ولكنك كنت عشيقتي ..

هي : لم أكن عشيقتك ..

الكونت : قد أعطيتني نفسك قبل وفاة زوجك بليلة ..

هي : أنت لم تمسسني ..

الكونت : (كأنما يصرخ يائسا) .. ولكنك قتلت زوجك فرنسوا لأنك أردت الزواج مني ..

هي : قتلته لأنني أحببته ..

الكونت : (ينزل على ركبتيه بالقرب من الترابيزة التي تقف عندها انستاسيا) .. الرحمة .. قولي .. الحقيقة .. الرحمة .. (يقلب الترابيزة) ..

هي : أنا قلت الحقيقة ..

(الكونت ينهار) ..

(من الخارج صوت سيارة اسعاف) ..

ميسبي : (معترضا) .. أنت استمعت إلى الحقيقة .. انها لم تحبك

الكونت : وحوش .. وحوش ..

(دقات عالية على باب اليمين) ..

ميسبي : (بوكار) .. يا كونت بودو .. ان هذه العبارات المجنونة التي رضعتها من الغابات والتي استوحيتها لسوء حظك من الاسراف في الخمر ، قد ثبت أنها جوفاء .. انستاسيا لم تكن عشيقتك في يوم من الأيام .. وبمثل هذا الموقف قد ضاعفت من سوء حظك وسلوكك .. أنت إلى جانب كميات السم الممنوعة التي زودتنا بها ، قد أضفت اليها هذا القذف في حقنا .. وكل هذا يدل ، بما لا يدع مجالا للشك ، على أنك هويت إلى حالة لا أمل في علاجها ، حالة انحلال .. ليس جسيما فقط .. وانما أخلاقيا أيضا ..

(الباب على اليمين ينفتح فجأة ويدخل طبيب ومعه اثنان من الممرضين في ملابسهم البيضاء) ..

الطبيب : أنا البروفيسور يبرهوبر من مستشفى البلدية للاضطرابات العصبية.

ميسبي : (متجاهلا) .. اعترف بأنك كنت كاذبا ..

الكونت : أنتم وحوش ..

(من كل الأبواب التي إلى اليسار واليمين ومن كل النوافذ ومن الاطارات أطباء بملابسهم البيضاء وبنظاراتهم الطبية) .

البروفيسور : كلفتني مصلحة الصحة العامة أن أصحبك إلى المستشفى للكشف عليك .. أنها تعليمات خاصة من الرئيس الجديد .. رئيس الوزراء القديم تحت الفحص العقلي الآن .

ميسبي : انستاسيا أقسمت .. واعترف ، أنت بانك كذاب .. انني

أناشد ما تبقى من شرفك الأرستقراطي الذي لا بد أنه في مكان ما منك .

(أحد الممرضين يمسك ميسبي)

البروفيسور : أنت حالة نادرة يا سيادة النائب العام .. لدرجة أنني دعوت أعضاء المؤتمر هنا لمشاهدتك ..

(الأطباء يصفقون جميعا)

ميسبي : كنت تكذب .. اعترف .. بأنك كذبت ..

(الممرض يقود ميسبي إلى الخارج) ..

البروفيسور : (ينحني) لا تدع كلماتك تملؤك باليأس يا سيدي .. انه في حالته الراهنة في أشد أنواع الهذيان .. فنحن نعرف مثل هذه الحالات .. سوف يتحسن قريبا .. أمس فقط أحس رئيس الوزراء بأنه عاجز عن التحكم في أي شيء .. ولكنه اليوم وبعد معالجته بالصدمة الكهربائية ، وبعض الحمامات الباردة يفكر في أن يخدم بلاده كسفير أو مدير لأحد البنوك .. (تصفيق من الأطباء في هدوء .. البروفيسور ينحني لانستاسيا ، ويخرج من اليمين .. الأطباء يخرجون من الأبواب والنوافذ .. انستاسيا والكونت وحدهما .. ينهض الكونت في هدوء)

هي : أنت قلت الحقيقة ، وأنا خدعتك ..

الكونت : الخوف أقوى من الحب ..

هي : الخوف أقوى دائما ..

الكونت : ثم جاءوا وأخذوا زوجك ..

هي : حدثت المعجزة .. وأعطيت لنا حريتنا ..

الكونت : ولكننا منفصلان .

هي : أحرار إلى الابد ..

الكونت : ضاع الايمان .. قطرة ماء تلاشت في الرمال ..

هي : ضاع الامل .. سحابة تبددت إلى لا شيء في النور ..

الكونت : لم يبق الا الحب .. حب انسان أحمق .. انسان مضحك ..

هي : حب لم يعد له وزن ..

الكونت : من الآن فصاعدا سوف أصرخ باسمك . صرخة رجل أصابه الطاعون .. أنكرتني وأحببتك .. سخرت من اسم الله ... وأحببتك .. ولكن منذ الآن سوف ابعد عنك .. لن ترى وجهي بعد اليوم .. سأتركك إلى الأبد .. ولكن حبي لك .. هذا الحب لن يضعف .. ذلك الذي حرقني .. وقتلني .. وباسمه أعيش وأعيش .. سآخذه معي سأزرعه في كل أرض أمر بها .. قلقا منهارا بعد أن حطمتني .. محطما .. أتسول .. سأقتسم مع كل شحاذ .. اني ألقيت في عالم لا أمل في خلاصه .. سأتشبث بهذا الشعاع الذي يسخر مني .. عاريا عاجزا أمام عيني الله .. كآخر مسيح ..

(يخرج ببطء من اليمين .. انستاسيا تقف بلا حراك .. تسمع صوت طائرة) ..

هي : الطائرة المتجهة إلى شيلي قد أقلعت ..

(كلود .. وقد ارتدى ملابس السهرة كما كان في الفصل الأول .. يظهر أمام الستار .. وقد لف فوطة حول رقبته)

سان كلود : دعي الطائرة تسافر إلى جمهورية شيلي المحترمة .. الكونت يخرج أيضا .. لقد سبب لنا الكثير من المتاعب دعيه يعبش في ضوضاء المدينة الكبرى .. دعيه يعب الخمر والسكين في ظهره . واذا كان سعيدا فسوف ينزل ضيفا على مستشفى الفقراء الذي

أنشأه .. لن نضايق أنفسنا به بعد ذلك .. دعينا نفكر في غد .. والمشهد حزين جداً .. وسوف ترون ذلك بعد ما تختفي الطائرة تماما .. فالغرفة في حالة سيئة ومفزعة .. والاثاث لا يمكن أن يوصف .. كل شيء أبيض .. وكل بياض الغرفة قد سقط سوف ترون .. وفي منتصف المسرح كما ترون يوجد ذلك الشيء الذي يقهر .. ترابيزة القهوة .. معدة لشخصين كما كانت في البداية .. ليس هما السيد ميسبي وزوجته ولكن زوجته وأنا .. لا نستطيع أن نخفي ذلك .. أما أنني حلقت لحيتي فلهذا معناه.. فقد تحطمت ومن الضروري أن أبدأ من جديد .. ولعلكم أدركتم المعنى الذي أقصده .. لقد كانت نهاية الثورة أليمة .. وانتصار رئيس الوزراء ساحقا ومحطما لمستقبلي أيضا .. فالجيش الاحمر قد أنزل رتبتي والبرلمان البولندي قد سحب انتدابي .. وألغيت تماما .. لقد صفى ثلاثة رجال في شخصي .. انتهيت ..

(ترفع الستار الذي عليه الطائرة) ..

أنتم الآن تستمعون إلى صوت المدافع تحيي رئيس الوزراء الجديد .. والمدينة تستعد لزفاف رئيس الوزراء .

(من خارج النافذة يمضي دييجو وعروسه ومعهما طفلان)

وأنتم ترون العروسين المتألقين في طريقهما إلى الكاتدرائية أما هو فنحن نعرفه جيدا .. أما هي فهي صاحبة احدى الصحف وهي في غاية الخجل وهي ترتدي فستانا من تصميم ديور .. والسلطات قد استردت والنظام استتب .. والمجد القديم عاد .. ومع هذا الاحتفال العظيم .. ومع الصيحات المتجددة للشعب السعيد .. وفتيات الكورال التي تنفخ وتصرخ سيمفونية بيتهوفن التاسعة وأجراس الكاتدرائية .. القارغة .. سوف يقع المنظر الأليم الذي يصدمنا جميعا .. فلنبدأ ..

(ميسسبي يتسلق النافذة إلى اليمين .. وقد ارتدى ملابس المجانين ويختفي في غرفته إلى اليمين) ... كان هذا الرجل نائبا عاما .. ونجح في الهرب من مستشفى المجانين .. ولسوء الحظ كنت ما أزال في هذه الغرفة عندما تسلل من النافذة والا لرآنا صديقي القديم بول وأنا أحلق لحيتي أمام الجزء الباقي من المرآة .. وأمسك بي .. وكما ترون لم تكن لديه أية فكرة عن وجودي .. ولا أنا عن وجوده وهو غير متنبه إلى الخطر الذي يتهدده .. ولكن حدث كل شيء بسرعة فقد راح ضحية المصير الذي أعده لنفسه .. أما انستاسيا هذه .. وهي السبب الآخر المضحك لوفاتي .. ولولاها لعشت في أمان منذ وقت طويل .. فقد جاءت متأخرة بعض الوقت .. كانت في المدينة .. وحرصت على أن تزور مستشفى سجن النساء .. ولكنها في الحقيقة كانت تحاول مقابلة رئيس الوزراء الجديد ولكن لم تفلح وليس أمامها الآن الا أن تستسلم .. فذهبت إلى البنك وهي الآن في طريقها إلى البيت .. وقد تنكرت في ملابس ملاك الرحمة ، في يدها شنطة من جلد التمساح وعليها بالطو ..

(تدخل انستاسيا في صمت من اليسار)

هي : لقد هرب ميسسبي

سان كلود : وماذا يهم ؟

هي : ان الممرضات ورجال الشرطة .. قد حاصروه في الحديقة ..

سان كلود : كما يطاردون الأرانب .. (يستدير) وأين كنت أنت ؟

هي : في مستشفى سجن النساء

سان كلود : كذابة .. كنت في البنك ..

(يمسك حقيبتها يفتحها يخرج مظروفا ويضعه في جيبه)
كم سحبت من البنك ؟

هي : خمسمائة ..

سان كلود : عظيم ..

هي : حلقت لحيتك ..

سان كلود : هل أبدو شخصا آخر ؟

هي : نعم ..

سان كلود : ارتدى فستان السهرة .. فالسفير الأمريكي قد أقام حفلة في بيته الريفي ..

هي : وماذا يعنيني من السفارة الأمريكية ؟

سان كلود : انها فرصة لمغادرة المدينة .. دون أن يعرفني أحد .. فلا أحد يتوقع أن نذهب في مثل هذا الطريق .. والا لماذا ارتديت ملابس زوجك ؟ .. (يمسك ذراعها ويتأملها) عندي فكرة رائعة .. نهرب معا ..

هي : (قلقة) .. هل البوليس يطاردني ..

سان كلود : لا .. يطاردونني أنا .. فقط .. سنهرب إلى البرتغال ..

هي : هل حلوا الحزب الشيوعي ؟

سان كلود : الحزب طردني ..

هي : ما معنى هذا ؟

سان كلود : طبعا بغريزتي التي لا تخطىء معناه .. ان الحزب الشيوعي انما يخشى هؤلاء الذين يأخذون الشيوعية مأخذا جادا .. وسوف يعمل الحزب بكل ما يستطيع من أجل أن يقتلني ..

هي : وما الذي سنفعله في البرتغال ؟

سان كلود : لنبدأ من جديد .. وليس هذا عبثاً هينا .. انها لحالة تبعث على الأسى .. فأنا الآن مثل الذي ينسف البيوت مستخدما نوعا من الديناميت المبلل .. ولذلك ليس في امكاني أن أجعل الدمار يصل إلى عنان السماء .

(يدق الجرس الفضي .. تظهر الخادمة إلى اليمين .. ترتدي ملابس العمل وان كانت ممزقة بعض الشيء)

سان كلود : قهوة ..

(تخرج الخادمة) ..

هي : (تنظر اليه بتحقق) .. ماذا تنوي أن تفعله بي ؟

سان كلود : سنذهب إلى بيوت الأزياء .. ونرتاد النوادي الليلية ثم في النهاية سأقيم لك ماخورا محترما ..

هي : (في فزع) .. وهل سأنحط إلى هذه الدرجة ؟

سان كلود : (بجفاف) بل سترتفعين إلى هذه المستوى ، يا زوجة النائب العام ..

(ثم يتجه إلى النافذة إلى اليسار ، ويدير ظهره للجمهور ، تدخل الخادمة من اليمين)

الخادمة : القهوة ..

سان كلود : (دون أن يستدير) صبيها ..

(تصبها الخادمة وتخرج من اليمين)

هي : (شاحبة تمسك بعقد في عنقها) .. اذن فسوف تسيء إلي ؟

سان كلود : لا .. بل سأضعك في المكان الطبيعي الذي يناسبك ، قم أنت ؟ .. أنت امرأة استهلكت كمية كبيرة من الرجال ... وفي المستقبل سوف تعيشين على هؤلاء الذين قامت ضدهم كل الثورات :

الأغنياء .. وعندما كنت ملاك السجون كنت اهانة .. أما في مهنتك الجديدة فستكونين أداة للحصول على المال من الطبقة المالكة وهذا يساعد على سقوطها .. هذه هي الطريقة الوحيدة لاستخدامك للصالح العام .. بدلا من استخدامك لاستغلاله ..

هي : (تفتح ميدالية تعلقت من عقدها وتخرج منها شيئا يبدو كقالب سكر) .. أنت شديد الامتنان طبعا .. أخفيتك في غرفتي منذ اليوم الأول لدخولك هذا البلد ..

سان كلود: وصرت أنت عشيقتي كضمان لك ضد أي خطر ... وجعلتك عشيقتي لأتأكد من مواهبك ..

هي : واذا لم أهرب معك ؟

سان كلود : (ينظر اليها) فالى أين تذهبين ؟

هي : رئيس الوزراء صديقي ..
(هتافات من الخارج)

سان كلود : ليس من صالحه أن يكون على صلة بامرأة قتلت زوجها بالسم .. والسياسي الوحيد الذي يستطيع أن يفعل أي شيء معك هو أنا ..

هي : هل أنت تهددني ؟

سان كلود : (يدير لها ظهره مرة أخرى) .. نعم لأسباب تتعلق بالعمل فأنت أكثر الناس قدرة على تحقيق رغباتي ..
(بهدوء وبحركة رشيقة مدت يدها ووضعت شيئا يشبه السكر في الفنجان الذي إلى اليمين) ..

هي : سوف نرى ..

سان كلود : هل جاءت القهوة ؟

هي : انها في الفنجان أمامك ..
(يقترب سان كلود من الترابيزة) ..

سان كلود : هل بها سكر ؟

هي : لا ..
(يأخذ سان كلود قطعة من السكر ويضعها في الفنجان الذي الى اليمين ويحركه بالملعقة .. ويقرب الفنجان بين شفتيه ثم يضعه على التربيزة دون أن يشرب متطلعا اليها)

هي : لن تشرب القهوة .. ؟

سان كلود : كان بها سكر من قبل فحلاوتها زائدة ..
(يمسح العرق عن جبينه)
اعتقد أنه من الأفضل أن أشرب القهوة في المدينة يا عزيزتي وأحب أن أقول لك انه لم يكن في صالحك أن تهربي مع صراف البنك لأنهم سوف يلقون القبض عليه هذا المساء ... ولسوء حظه سيجدون معه مبلغا كبيرا من المال لا يخصه وكما ترين لقد احتطت لهذا كله ... اذهبي وارتدي فستان السهرة فقد حان وقت الهروب .. وسأحضر سيارة ..
(تتجه انستاسيا إلى الداخل ناحية اليسار) وذهبت إلى غرفتها فنظرت وراءها وضحكت . ثم نظرت إلى فنجاني بشيء من الفزع ومددت يدي إلى فنجانها وشربته (ويفعل ذلك كله) ... انني أعرفها .. ففنجان القهوة المسموم لم أمسسه ولولا آمالي العريضة في تحقيق الثورة العالمية في مكان ما قد أعماني وجعلني أتصور أن أحدا لم يرني عندما سرقت عربية مسروقة أعيد طلاؤها في الوقت الذي كان فيه عمال الجراج يشاهدون حفلات الابتهاج بالوزارة الجديدة ويستمعون إلى بنات الكورس

.. والسيمفونية التاسعة .. ولولا آنني عند عودتي قد لاحظت الرجال الثلاثة الذين أخفوا أنفسهم وراء أشجار التفاح والسرو آه لو لم أرتكب هذه الأخطاء كلها لأصبحت سيدا لهذا العالم بمساعدة هذه المرأة النادرة .. غانية بابل ..

(يخرج من النافذة إلى اليمين وتظل الغرفة خالية لحظة ... يدخل ميسبي من باب اليمين مرتديا البدلة السوداء للنائب العام . يذهب إلى ترابيزة القهوة يلاحظ أن فنجان أنستاسيا خال ثم يملؤه .. ويضع يده تحت ملابسه ويخرج صندوقا ذهبية ويفتحه وما يحدث الآن يسهل تخمينه ويخرج شيئا كالسكر .. ويسقطه في فنجانها إلى اليسار كل هذا يتم بسهولة ورشاقة !! وتدخل أنستاسيا من اليسار مرتدية فستان سهرة أحمر .. وتتوقف عند رؤية ميسبي) ..

ميسبي : (ينحني) .. سيدتي ..

هي : (بعد لحظة) ميسبي ..

ميسبي : في استطاعتك أنت أيضا تناديني ببول فكلهم يعرفون اسمي الآن ..

هي : جنون أن تكون هنا ..

ميسبي : ليس جنونا أن أرغب في رؤية زوجتي مرة أخرى .. قبل اختفائي إلى الأبد .. فالانسان لا يستطيع أن يهرب من مستشفى المجانين مرتين .. هل لك في أن تجلسي ؟
(أنستاسيا تتردد) ..
شربنا القهوة عندما التقينا أول مرة منذ خمس سنوات ... وقد حانت لحظة الوداع فلنشرب قهوة مرة اخرى .. انه نفس المكان ولكنه مع الأسف الشديد قد تغيرت الجدران ، قد تمزقت

أوراقها وتمثال فينوس تشوه .. وتحطم أثاث لويس الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر أيضا .. ولم يبق لحسن الحظ غير هذه الترابيزة ..

(تجلس انستاسيا إلى اليسار ويجلس هو إلى اليمين) .

قطعة سكر من فضلك ...

(تعطيه قطعة السكر) ..

أشكرك . انني في حاجة إلى معونة عاجلة فهربي قد أدى إلى اجراءات عنيفة .. انني أجد الترابيزة معدة لشخصين يا سيدتي هل كنت تتوقعين أحدا يفطر معك ؟ ...

هي : كنت أتوقعك ..

ميسبي : وهل عرفت أنني سوف أجيء ؟

هي : عندي احساس خاص بذلك ..

ميسبي : وارتديت هذا الفستان الأنيق الجريء من أجلي ... ؟

هي : لاستقبالك ..

ميسبي : لا أذكر أنني رأيته عليك من قبل ..

هي : ارتديته يوم مات زوجي فرنسوا ..

(وتنظر إلى صورته) ..

ميسبي : وأنا أيضا كما ترين قد ارتديت ملابس الوداع وأجلس في مواجهتك بملابس النائب العام ...

(يرمقها بدقة) ... ألن تشربي فنجانك يا سيدتي ؟

هي : نعم سأشربه انني في حاجة اليه (وتشرب) ..

ميسبي : (يتنهد بارتياح) .. اننا متزوجان منذ خمس سنوات يا سيدتي (يشرب) ياه هذه القهوة سكر زيادة ..؟

هي : لقد فعلت كل ما طلبته مني زرت المسجونين وواسيتهم وراقبتهم وهم يموتون ولم أنس لماذا ذلك كله وكنت أفكر في فرانسوا كل يوم ... (تنظر إلى الصورة)

ميسبي : وكنت أفكر في مادلين
(وينظر إلى صورة زوجته وزوجها وتنظر إليه باهتمام شديد وهو يشرب قهوته) وكنت مخلصة لي .

هي : مخلصة لك ولفرنسوا أيضا .
(تشرب القهوة بارتياح شديد)
هل لك في فنجان آخر .

ميسبي : نعم أرجوك .
(عندما تصب له القهوة) اذن أنت لم تكذبي في قسمك يا سيدتي ؟

هي : (تضع اناء القهوة دون أن تصب) أمن أجل هذا جئت إلى البيت ؟ أمن أجل هذا تجلس الآن في مواجهتي وبهذا البالطو المفزع ؟ هل جئت تسألني عن ذلك ؟

ميسبي : نعم لهذا جئت . ان أسباب وفاة زوجك صاحب مصانع سكر البنجر ليست واضحة . سيدتي سأستجوبك لآخر مرة ...

هي : (تنهض بشيء من الاعتداد) سيدي ، ان صدمتي عنيفة . بعد خمس سنوات من هذا الزواج الذي ضحيت فيه بنفسي تتضاعف ثقتك بي .

ميسبي : (ينهض قبلها وينحني) لا تنظري إلي كزوج وانما كنائب عام يجب أن يؤدي مهمته الرهيبة على الرغم من أنها تتعلق بانسان يحبه . انسي الساعات التي عشناها معا وانسي مساعدتك

بلجمعية المسجونين .. وانسي كل أفكار عن زواجنا لقد كان جحيما من الناحية الجسمية ، جنة من الناحية الروحية وعودي بذاكرتك إلى ذلك اليوم الكئيب الذي زرتك فيه وثقي بي . آه .
(يتأوه يضع يده على الجانب الأيمن ويتراجع في مقعده)

هي : (ترمقه باهتمام) هل أنت مريض ؟

ميسبي : شعرت بوخز شديد بجانبي ويبدو أنه بسبب الروماتيزم . لقد أصابني البرد أمس عندما نمت طويلا تحت شجرة التفاح (ينهض) ولكني الآن أحسن . دعيني أكمل استجوابك يا سيدتي .

هي : لا أفهم سلوكك يا سيدي .

ميسبي : أما تزالين متمسكة بأنك لم تكوني قط عشيقة للكونت ؟

هي : لا أفهم ما الذي يرغمك على التمسك بهذا الشكل الغريب ؟

ميسبي : القدرة الكامنة في الانسان على الشر يا سيدتي ولقد كان الكونت مخمورا عندما اعترف لي . والخمر ...

هي : أم الحقيقة ...

هي : اؤكد لك مرة أخرى أن ما قاله لك صديق طفولتي قد أذهلني ولا أساس له من الصحة ..
(تجلس وهو أيضا)

ميسبي : أنت ترغمينني على أن أتخذ فعلتها من قبل .
(يدق الجرس تدخل الخادمة من اليمين)

الخادمة : نعم يا سيدتي ..

ميسبي : هل تتذكرين الكونت يا لوكريسيا ؟

الخادمة : كان يزورنا دائما عندما كان المرحوم على قيد الحياة .

ميسبي : هل كان الكونت وسيدتك يتعانقان في غياب المرحوم يا لوكريسيا ؟

الخادمة : دائما ..

ميسبي : في استطاعتك أن تعودي للعمل يا لوكريسيا ..
(وتدخل الخادمة من ناحية اليمين)
اذن فقد كنت تقبلين الكونت في غياب زوجك يا سيدتي . أليس هذا دليلا كافيا ضدك ... ؟

هي : أنا بريئة .. استدع البوليس اذا كنت لا تصدقني .

ميسبي : ان البوليس لم يصدقني أنا أيضا لأنه يعتقد أنني مجنون واعترافي لهم بأنني قتلت زوجتي بالسم قد رفضوه ضاحكين وليس أمامنا الا انهاء هذه المسألة بيننا على طريقتي ...

هي : وأنت اذا لم تصدقني فلا حيلة لي ..

ميسبي : من المستحيل أن يعرف الانسان شخصا آخر لدرجة أن يستغني عن تصديقه . ولكن في حالتي فان الموقف أكبر ولذلك يجب أن أتأكد من أنك لم تكذبي في قسمك والا كان معناه أن القانون في خطر .. بل ان القانون لا معنى له اذا فشل في تغيير شخص واحد خصوصا اذا ثبت أنك في خلال خمس سنوات لم تكوني مخلصة واذا كانت خطيئتك يا سيدتي أكبر من أن أعرف ، واذا لم يحرك أعماقك أي شيء .. لهذا كله يجب أن أعرف من أنت : ملاك أو شيطان .. ؟

هي : (تنهض) هذا شيء لا تستطيع أن تعرفه وانما أن تؤمن به فقط .

(ومن الخارج جاءت أصداء السيمفونية التاسعة على فترات أنغام قليلة من بعيد)

ميسبي : (ينهض أيضا) ان عبارة واحدة من فمك يا سيدتي من الممكن أن تكون مقدسة أو تكون كافرة ...

هي : لقد أقسمت لك مرة أخرى أمام الله أنني قلت الحق ..

ميسبي : (بعد صمت طويل وبصوت هادىء) هل تقسمين مرة أخرى لو حانت ساعتك الأخيرة .

هي : (مرتابة) ماذا تقصد ؟

ميسبي : اذا كان الموت ينتظرك . ؟

(صمت)

هي : (في فزع) هل تريد قتلي .. ؟

(تضغط بيدها فجأة على الجانب الأيمن وتجلس ببطء على الكرسي)

ميسبي : ألا تعرفين نفس الأعراض ؟ انها تتوقف فجأة وبعد لحظة يجيء الموت بلا ألم ...

هي : (تقفز) هل وضعت لي السم ؟

ميسبي : القهوة التي شربتها تحتوي على نفس السم الذي قتلت به زوجك فرنسوا وقتلت به أنا زوجتي مادلين ..

هي : هذه القهوة .. ؟!

ميسبي : نعم تماسكي يا سيدتي لقد بلغنا النهاية الرهيبة لزواجنا . انك تواجهين الموت ..

هي : (تتهيأ للخروج) سأذهب للدكتور بونسلز .

ميسبي : (يضع يده على كتفها) انت تعرفين جيدا أنه لا يوجد طبيب في العالم يستطيع اسعافك ...

هي : أريد أن أعيش ! أريد أن أعيش !

ميسبي : (يعانقها بعنف) بل يجب أن تموتي ..

هي : (ترتجف) ولكن لماذا فعلت ذلك ؟

ميسبي : لكي أعرف الحقيقة ..

هي : ولكني قلت الحقيقة ..

(أما ميسبي فقد أمسكها من كتفيها ويدفعها أمامه على المسرح يمينا وشمالاً)

ميسبي : أنت أحببت فرانسوا فقط .

هي : هو فقط .

ميسبي : ولم تكوني لرجل آخر ؟ لم تكوني خائنة ؟

هي : أبدا ...

ميسبي : وهذا الفستان الذي ترتدينه لمن كنت ترتدينه ؟ ومن كنت تتوقعين هنا ؟

هي : لك وحدك كنت أنتظرك .

ميسبي : لقد ذهبت إلى المسجونين ورأيت رؤوسهم تحت المقصلة فلا تقسمي مرة أخرى بالله وانما بهؤلاء الموتى الذين أصبحت واحدة منهم ..

هي : أقسم ..

(ومن بعيد يتناهى الينا صوت الكورس في آخر السيمفونيه التاسعة) .

ميسبي اذن أقسمي بالقانون الذي ظللت أقتل باسمه ثلاثين سنة أصبحت فيها يداي أكثر امتلاء بالدم وروحي قد أثقلها اليأس والرعب .. احلفي بالقانون ..

هي : (تبكي) وأحلف بالقانون أيضا ..

ميسبي : اني أشعر بأن الحياة تتركك .. أشعر بجسمك يثقل شيئا فشيئا بين ذراعي .. ووجهك يتحجر ببطء .. لقد كنت جميلة والآن جمالك يصبح جيفة .. أما روحك فلن تصبح جيفة أبدا .. احلفي بخلودك الروحي ..

هي : احلف بخلودي الروحي .
(وتسقط على الارض وينحني عليها ميسبي)

ميسبي : اذن لم يكن القانون فارغا ولم يكن عبثا أنني قتلتها ولا تلك الحروب الطويلة ، والثورات التي أقامت موكبا للموت ... اذن الانسان لا يتغير عندما يعاقب اذن ... فالمحاكمة الأخيرة للمسيح كانت ذات معنى ...

هي : لقد قلت الحق ..

ميسبي : كم كنت باردة عندما احتضنتك وكم اتسعت عيناك وهما تحملقان في اللانهاية ... هل هناك أي معنى للكذب الآن أمام عيني الله ؟ .. هل من الممكن ألا تقولي الحقيقة وأنت تنتقلين إلى حياة أخرى ؟ ..

هي : أقسم .. أقسم ..
(وتتمدد بلا حركة ويتسلق سان كلود من النافذة ويدخل)

سان كلود : أهلا يا بول ..

ميسبي : (ببطء) أهلا يا لويس ..

سان كلود : هل هربت من مستشفى المجانين ؟ ..

ميسبي : (ببطء) جئت لآخر زيارة ..

(سان كلود يقترب من الترابيزة وينظر إلى فنجان ميسبي الفارغ ثم إلى فنجان أنستاسيا الفارغ أيضا) .

سان كلود : أهذه زوجتك ؟ ..

ميسبي : قتلتها .. !

(ميسبي ينهض)

سان كلود : ولماذا ؟ ..

ميسبي : بحثا عن الحقيقة ..

سان كلود : ووجدتها ؟ ...

ميسبي : (يقترب ببطء من الترابيزة وقد وضع يده على جانبه الأيمن) زوجتي لم تكذب .. لم تكن خائنة ..

(يجلس ببطء بينما سان كلود ينظر إلى انستاسيا)

سان كلود : هل من الضروري أن يقتل انسان امرأة ليعرف الحقيقة ؟

ميسبي : انها كانت دنياي وكان زواجي تجربة رهيبة حاربت العالم وكسبت .. لا أحد يكذب وهو يحتضر وقد ماتت ..

سان كلود : من الواجب أن ترفلي لها القبعة اذا كانت قد فضلت ذلك ... ان هذا يجعلها قديسة ..

ميسبي : كانت الشخص الوحيد الذي وقف إلى جواري والآن أعرف أنني أحببتها ..

سان كلود : ليس هذا بالشيء الهين ..

ميسبي : ولكني مرهق .. انني أتجمد .. أنني أشعر مرة أخرى بالبرودة التي شعرنا بها ونحن شبان .. عندما كنت أقرأ الكتاب المقدس وأنت تقرأ كتاب « رأس المال » لكارل ماركس في ضوء مصابيح الغاز الذابلة ..

سان كلود: تلك أيام يا بول !

ميسبي : أحسن أيامنا يا لويس ، كنا مشبعين بالشوق والحنين بالأحلام العريضة والآمال المجنونة لعالم أفضل ..

(يقف) أشعر بأن جسمي ثقيل خذني إلى غرفتي .. (يعاونه سان كلود)

ميسبي : (مرتابا فجأة) ولكن لماذا جئت هنا ؟

سان كلود : لأودعك ..

ميسبي : وعرفت أنني هنا ؟

سان كلود : لم تكن في المستشفى .

ميسبي : (يضحك) وهل أنت مسافر ؟

سان كلود : إلى البرتغال يجب أن أبدأ من البداية ..

ميسبي : يجب علينا دائما أن نبدأ من البداية .. اننا ثوريون حقا سأهرب معك يا أخي ..

سان كلود : اننا ننتمي بعضنا إلى بعض .

ميسبي : سنفتح ماخورا . سأصبح بوابا وأنت تقوم ببقية المهمة في الداخل واذا انفصلت السماء عن الارض فسوف نغرس علم العدالة الأحمر على صرح العالم المنهار ..

(وينهار هو فجأة ويتركه سان كلود يسقط في المقعد الذي إلى اليمين) ..

أنني أترنح من التعب . أراك الآن شبحا يزداد سوادا ..
(يسقط على الترابيزه)
لم أستسلم أبدا وكل ما أريده هو أن أعيد الوصايا العشر ..
(صمت وفي الخارج تدق أجراس الكاتدرائية أما سان كلود فيهز ميسبي ويبعد الفنجان ويلقي به على الارض وكذلك فنجان انستاسيا ويدق الجرس ويدخل الرجال الثلاثة الذين ارتدوا بلاطي المطر وقد وضعوا أيديهم اليمنى في جيوبهم)

سان كلود : ماذا تريد ؟

الأول : أنت محكوم بالاعدام يا سان كلود ..
(سان كلود يطيع)
اذهب وقف بين النافذتين .. (سان كلود يطيع)
أدر وجهك إلى الحائط هذه أبسط طريقة للموت ...
(سان كلود يدير وجهه للحائط وتتوقف أجراس الكاتدرائية عندما ينطلق عيار ناري. يظل سان كلود في مكانه يخرج الرجال الثلاثة من اليمين ويبقى سانت كلود)

سان كلود : لقد أطلقوا الرصاص على جسدي وأنتم الآن تعرفون القصة
(ويجلس على الكرسي الذي إلى يمين ترابيزة القهوة)

ميسبي : (ينهض) وهكذا متنا بأعمالنا فنحن قتلة ومقتولون أو سفاحون وضحايا ...

الوزير : (يظهر من نافذة اليمين) بينما أنا الذي يريد القوة ولا شيء غيرها أحتضن هذا العالم ..

هي : (تنهض وتتجه إلى الوزير الذي يعانقها) غانية عانت الموت ولم تتغير ...

سان كلود : بينما نحن نكذب هنا في هذا الخراب ..

ميسبي : ونموت أمام حائط مغسول على رصيف يغرق محطما بين السماء والأرض ...

سان كلود : ولكننا نعود ونعود كما عدنا دائما ..

ميسبي : في أشكال جديدة نحلم بجنات بعيدة ..

سان كلود : ومن جديد نخرج من بينكم ..

ميسبي : ونتغذى بأعمالكم ..

سان كلود : ونتعطش إلى أخوتكم ..

ميسبي : ونحوم فوق مدنكم ..

سان كلود : نرفرف بأجنحة قوية ..

ميسبي : وهذا يدير الطواحين التي تسحقكم ..

(ومن النافذة التي إلى اليسار يظهر الكونت وحده ممزقا في يده قبعة وعصا غارقا في ظل مراوح طاحونة تدور) ...

(ستار)

ملحوظة :

« قد أخرجت هذه المسرحية أكثر من مرة .. وقد شجع هذا النص على اساءة فهمها فقد أخطأ المخرجون عندما استخدموا مناظر تجريدية ولكن ما دامت هذه المسرحية كوميدية فهي قصة غرفة ، فان هذه الغرفة التي تجري فيها الأحداث يجب أن تكون حقيقية قدر المستطاع وبذلك وحده يصبح في الامكان سقوطها وانهيارها . أما ما ليس واقعيا وخياليا فيمكن أن يترك للنص .. أي للمؤلف » .

٧٥

علي مولا

الهيئة العامة للكتاب



القاهرة - بيروت